

المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي

الدكتورة: وفاء محمد عزت الشريف

الملخص

هدفي في هذا البحث تعريف الناس بأنواع المنكرات الشائعة بين الناس، وذلك لأن بعض الناس جعلوا الأمر عندهم بين الحرام والحلال سيان، والأمر شبه عادي في اقتراف الذنوب، وتعللهم في هذا أن أكثر الناس يقوم بهذا العمل، ظناً منهم أن الله يغفر الذنوب وأن الله سياسمهم على أفعالهم، لكنهم لا يعلمون مدى الذنب الذي وقعوا فيه ونقل إلى غيرهم بطريقة أو بأخرى وعملوا به دون التمييز بين الحلال والحرام، والوقع في الشبهات جزء لا يتجزأ من اقتراف الذنب.

Abstract

My goal in this research is to introduce people to the types of evils that are common among people, because some people make the matter in their opinion between the forbidden and the permissible the same, and the matter is almost normal in committing sins, and their reason for this is that most people do this work, thinking that God forgives sins and that God will forgive them For their actions, but they do not know the extent of the sin they fell into and it was transferred to others in one way or another and they acted upon it without distinguishing between what is permissible and what is forbidden, and falling into suspicions is an integral part of committing a sin

الكلمات المفتاحية: المنكرات / شهادة الزور / الخيانة/ خير أمة. ..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بيده ملكوت السموات والأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء شهيد، له الحكمة في أمره، في شرعه وقدره، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء وإمامهم، صلى الله عليه وسلم وعلى إله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً. أما بعد فإن سبب اختياري لموضوع البحث هو انتشار المنكرات في المجتمع الإسلامي ونقشها، وهذه مشكلة من مشكلات عصرنا، بدل أن تقل هذه المنكرات وذلك بالرجوع إلى كتاب الله وسنه رسولنا نجد أنها تنتشر كالمرض العضال إذا دخل في جسم إنسان يبقى فيه إلى أن يؤدي بحياته. وهذه المنكرات إذا بقيت في المجتمع الإسلامي أدت إلى ضعفه ووهنه إلى أن تؤدي به.

فرايت أن من واجبي أن أقف على مجموعة من هذه المنكرات أبينها وأوضحها، وأبين أثرها على المجتمع الإسلامي، والسبيل إلى مواجهتها والرجوع عنها واتباع أوامر الله ورسوله وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى تصبح أمة الإسلام أمة قوية متماسكة وتكون كما أراد الله عز وجل ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) [1] فلا يمكن أن تكون خير أمة إلا إذا تمسكت بكتاب الله وأتبعته سنة رسوله ﷺ وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر.

ففي هذا البحث (المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي) قسمته إلى فصول، ففي الفصل الأول (المنكرات كما بينها الإسلام) بينت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكيف عنى الإسلام بمكافحة المنكرات من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو دليل على عنايته بالمجتمع ثم أوضحت المنكرات وأثرها في المجتمع مبينة أنها واضحة غير خافية.

أما في الفصل الثاني : (بعض المنكرات التي يقع فيها الناس) مما نقشت في المجتمع منها الظاهر كالخمر والقمار والرقى والتمايم. .. ومنها ما هو باطن في النفس

1 - سورة آل عمران، الآية 110.

مثل الانقياد لهوى النفس واحتقار الغير واحتقار النفس. .. ومنها ما هو ظاهر للناس مثل الكذب والكبرياء واللغو وشهادة الزور... فأوردت بعض هذه المنكرات وأثرها على المجتمع المسلم وخطرها. وأتبعتها بأثر المنكرات في المجتمع الإسلامي وسردت مجموعة من المنكرات في مجال العقيدة والأخلاق والعبادات وغيرها ثم وقفت على السبل لمواجهة هذه المنكرات.

أما في الفصل الثالث (الشيطان وخواصه) فقد أوضحت سبل الشيطان في غواية الإنسان وكيف يخطط للإيقاع بالإنسان بكل الوسائل والسبل، حتى يبعد الإنسان عن ربه ودينه وإيمانه، وكيف أنه يحبب للعاصين المعصية حتى أنهم يرونها أمرا عاديا ويألفونها فلا تصبح عندهم منكرات، وهذا مما يؤدي إلى تفشيها وازدياد خطرها، وأوضحت كيف السبيل لمواجهة هذه الفتن.

ثم تطرقت في الفصل الرابع (كيفية تغيير المنكر) إلى المسؤولية تجاه تغيير المنكر وعلى من تقع، ودور كل إنسان في المجتمع تجاه تغيير المنكر إن كان إماما أو رجلا أو امرأة أو غير ذلك مؤكدة بحديث الرسول الكريم: ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته...))^[1] ثم أوضحت الفرق بين النصيحة والتشهير وبين الحرية والفوضى.

ثم اتبعت ذلك بمراتب تغيير المنكر، وعلى من يكون تغيير المنكر، هذا واستندت في هذا البحث على عدة مراجع أهمها وأولها القرآن الكريم الذي هو منهج حياتنا ودستورنا العظيم الذي منه ننهل ونميز بين الصحيح وغيره وبين الفضيلة والمنكر، واستندت إلى صحيح البخاري للسنة النبوية التي هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وأيضا إلى عدة مراجع منها ما هو في الأخلاق الإسلامية لمجموعة من العلماء الأفاضل الذين كتبوا في هذا المجال.

أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث، فإن كنت قد وفقت فمن الله تعالى، وإن كنت قد قصرت فمن نفسي -فأعوذ بالله من كل زلة أعلمها ولا أعلمها- فإن الله يقول في محكم تنزيله { وما أوتيتم من العلم إلا قليلا }^[2]

1 - متفق عليه، ورد في صحيح البخاري في كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده

2 -سورة الاسراء، الآية 85.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

الفصل الأول: (المنكرات كما بينها الإسلام)

أولاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

المجتمع كالأفراد تبقى سليمة ما دامت تتغذى بالأخلاق الفاضلة، وتتجافى عن الرذائل، فإذا انقطعت صلتها مع الفضائل انهارت انهيار البناء فإنه ما تعوهد بال عمران والترميم بقي صحيحا قابلا للسكن، وإذا تغوفل عنه آل إلى الفناء والخراب.

والإسلام يريد المجتمع فاضلاً تجري عليه نسائم العدل والحرية والمساواة والإخاء والكرم والشجاعة وما إليها. ولذلك رسم خارطة الفضائل وحث عليها، وذكر الرذائل وأمر التجنب عنها، وحيث أن التيارات النفسية والشهوات المسيطرة على الروح لا تجري من هنا وهناك، جعل الإسلام قانونين تحفظا على الأفراد والمجتمعات من البوار والفساد حرصا على السلامة من المعاصي والمهالك. والقانونان هما (الأمر بالمعروف) (والنهي عن المنكر).

المعروف: كل أمر رأى الإسلام فيه مصلحة للفرد أو المجتمع سواء ألزم بها كالصلاة والزكاة والصدق والوفاء والحدود والمواريث والقضاء والجهاد... أم ندب إليها كالضيافة والهدية والتزاور والتآلف وما إليها.

المنكر: كل شيء يرى الإسلام فيه مضره للفرد أو المجتمع سواء حرّمها كالزنا والقمار وأكل مال الناس بالباطل وشرب الخمر والنظر المحرم والكذب والنميمة والغيبة والتجسس والظلم والرشوة وما إلى ذلك...

وهذان الواجبان بمنزلة القوانين التنفيذية في القوانين المدنية بدونهما لا يستقيم النظام وينتهك ناقوس الإسلام. فلو شرب رجل الخمر أو ظلم في الحكم أو لم يعط حق الفقير.. وهكذا ثم لم يؤاخذ من ناحية السلطة والأفراد لم يمض زمان حتى تسري العدوى ويستفحل الشر وينهار الفرد والمجتمع، ولذا أكد الإسلام تأكيداً بالغاً على إقامة هذين الواجبين.

فالإيمان أول الفضائل، وصلة الرحم تبني وحدات المجتمع الخير أو الأسرة والعشيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينان أفضل المجتمعات، والعمل

المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي ————— د/ وفاء محمد عزت الشريف
بالمعاصي -بطبيعة الحال- بسبب العقوبات الدنيوية، قبل الأخروية فالخمر تورث
الجنون، واللبغاء الأمراض الزهرية، وترك الزكاة اختلال توازن الطبقات المؤدي بدروه إلى
التوارث وهكذا...

(والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يورثان عزة لا ذلة، ولكل واحد من الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر شرائط:

1- أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عالماً بهما حتى لا يأمر بغير
المعروف ولا ينهي عن غير منكر .

2- أن يكون الإنكار بالقلب والإنكار باللسان والإنكار باليد، والإنكار باللسان
واليد له مراتب يتدرج من الأضعف منها إلى الأقوى. إن لكل شيء مقياس إذا تعداه
أورث الدمار، وكذلك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن لهما موازين يلزم على
الشخص القائم ان يعرفها وإلا كان فسادة أكثر من صلاحه[1].

ثانياً: عناية القرآن الكريم بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف:

وأول ما يطالعنا في ذلك القرآن الكريم أنه يرسم دائرة الخير والصلاح، ولا يجعل
لأحد نصيباً فيها سوى الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر، والداعين إلى الخير قال
تعالى : ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [2].

بينما يحصر القرآن الكريم المفلحين فيمن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
نراه يجعل الأمر بالمعروف شأناً من شؤون الإيمان، ولازماً من لوازمه لا يقوم إلا به،
 ويفرده بالذكر عن عموم إطاعة الله ورسوله. وأنظر إلى قوله تعالى: ((وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) [3].

وبينما يضعه هذا الوضع من أصول الدين نراه يضع الأمة التي تقوم به والتي
تعتمد عليه، رائدة على المستوى العالمي، قال الله تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

1 - محمد الشيرازي، هكذا الإسلام، الكويت، مكتبة الإمام الحسين، 1979م، ص 364-374.

2 -سورة آل عمران، الآية 104.

3 -سورة التوبة، الآية 71.

المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي ————— د/ وفاء محمد عزت الشريف

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (([1].

وبينما يقف هذا الموقف كلها من الجانب الإيجابي للنهي عن المنكر يقول في الجانب السلبي بقوله تعالى: ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ مَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79))) [2].

وقد قص علينا القرآن حادثة أهل القرية التي كانت حاضرة البحر حينما اعتدوا على أمر الله في تحريم الصيد يوم السبت، واستباحوا في ظل حيلة تفتقت عنها عقولهم لإشباع نهمهم لأملاء بطونهم، وكان مما قاله الله سبحانه وتعالى في هذا الشأن: { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزَابٍ مِّنْهُمْ مَا يَكُونُ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ فُتًى } [3].

ثالثاً : عناية السنة النبوية بسلامة المجتمع:

وكما وقف القرآن الكريم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقف منه الرسول الكريم بالأحاديث الصحيحة هذا الموقف عينه، فمنها ما روى عن أبي بكر الصديق أنه قال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) [4] وأني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا أن يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده)) [5]. وفي هذا الحديث توجيه إلى شأن طبعي في شيوع المنكرات،

وذلك أن المنكرات هي أشبه بجرائم الأمراض المعدية في انتشارها وتنقلها والتأثر بها [6]، فإذا وجدت كفاحاً يحجر عليها في مكانها حتى يقتلها ويبيدها سلم منها

1 - سورة آل عمران، الآية 110.

2 - سورة المائدة، الآية 78-79.

3 - سورة الأعراف، الآية 165-166.

4 - سورة المائدة، الآية 105.

5 - سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، حديث 4009، ص 1329، ج 2.

6 - تعبير للشيخ محمود شلتوت في كتابه من توجيهات الإسلام، ص 197.

المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي ————— د/ وفاء محمد عزت الشريف

موضعها وسلم منها ما وراءه، وإذا لم تجد كفاحاً وتركت وشأنها اتسعت دائرتها وتفشيت في جميع الأرجاء، وقضت على عناصر الحياة، وعرضتها للفناء والدمار، ومن هنا كان أثر المنكرات غير خاص بمرتبيها، وكان الساكتون عليها عاملين على نشرها وإذاعتها، وبهذا القدر من الموقف السلبي يكونون أهلاً لحلول العقاب بهم، وأصابتهم بما يصاب به المباشرون لها، ولعل أول ما يدل على هذا تقرير السنن الاجتماعية قوله تعالى: ((وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) [1] وقوله تعالى: ((كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)) [2] وهو ليس-كما يظن-آخذاً للبريء بجريمة المذنب، إنما هو أخذ للمذنب بجريمة ذنبه، فالذنب ذنبان:

1- ذنب يصدر عن شخص وهو الفعل نفسه.

2- ذنب يصدر عن يعلم هذا الذنب ويقدر على مكافحته، ثم هو طمعاً في مال أو مكانة يبعد نفسه عن مكافحة هذا الذنب وبذلك يكون شريك في العمل على نشره في المجتمع.

رابعاً: المنكرات وأثرها في المجتمع:

ما رأيت معولاً يهدم بناء المجتمع، ويهدد كيان الأمم ويعرضها لخطر التحلل، ثم خطر الفناء مثل "شيوخ المنكرات" فيما بينها، والمنكرات بطبيعتها تأخذ بالناس عن طريق الخير إلى طريق الشر وتسلبهم تقدير القيم الكريمة التي يسوسون بها أنفسهم، ويشيدون على أساس منها صروح عزتهم.

"والمنكرات أشبه شيء في سرعة التنقل والشيوخ بجراثيم الأمراض لا تلبث إذا وجدت في مكان ما أن تنتقل وتنتشر وتعم وتعمل عملها في المجتمع كله، وبذلك تتقلب حياة المجتمع رأساً على عقب، تتعرض فيها الأعراض للانتهاك والأموال للاستلاب، والحقوق للضياع.

1 -سورة الأنفال، الآية 25.

2 -سورة المائدة، الآية 79 .

وليس من شك في أن أمة يكون مصيرها هذا المصير لا تعرف شيئاً من نسمات الأمن والطمأنينة ولا بد من بواعث الاستقرار والسكينة وبذلك ينحل ما بين أفرادها من روابط، لا يهمها سوى شهوات تقضى وانفعالات تحتدم.

وليس المنكرات من الشؤون الغامضة حتى تحتاج إلى تعريف أو توضيح، وهي تكاد بحكم الطبيعة الإنسانية البريئة، ومقتضيات الاجتماع الإنساني الذي يقرر حاجة الناس إلى الناس - تكاد حين تعلن عن نفسها وبآثارها، وقد آزرت الشرائع السماوية على تعدد مراحلها - الطبيعة البشرية في الإعلان عن كثير من صورها، أرشدت إلى ذلك في الأنفس، والأموال والأعراض والحقوق وسائر الواجبات، وكان الاعتداء على كل شيء من ذلك في نظر الشرائع منكراً يقف بالحياة الفاضلة عن السير في طريق التقدم والكمال، ويردها إلى مهووي التهلكة، وبؤر الانتكاس، وجدير بقيادة الأمم، ورجال التربية والتهذيب فيها أن يعنوا العناية كلها، بتدقيق النظر في صور ما يمس المجتمع من خلال السوء، وطرائق الغش والخديعة، وأساليب النفاق التي كثيراً ما تتخذ ستاراً لغرس بذور المنكرات في مناحي الحياة. وجدير بهم ألا يندفعوا وراء بريق يزين للناس (المنكر) بزيينة (المعروف) فيستباح المنكر باسم الحرية والتقدم، وما كان المنكر في طبيعته، وفي آثاره إلا طغياناً فتحل به معاني الحرية، وحجر عثرة أمام التقدم، وكثيراً ما تلوى النظرات الخاطفة أو التقاليد الوافدة نظرت الإنساني عن حقيقة ما يرى أو يعمل، فيظنه خيراً وهو شر، ويظنه تقدماً وهو تأخر، ويظنه حرية وهو فوضى وانحلال^[1].

الفصل الثاني: (بعض المنكرات التي يقع فيها الناس)

أولاً: الانقياد لهوى النفس:

تجتاح الإنسان في معترك هذه الحياة تيارات شتى من الرغبات والشهوات، يؤثر فيها مصلحته الخاصة ولو كان فيها إضرار بالغير ولا يهمه أن تكون أعماله سيئة ما دامت تشبع رغباته وأهواءه.

وإن من أهم أهداف الإسلام مجابهة أهواء الإنسان والحيلولة بينه وبين الانقياد لها إذ أن هوى النفس يشوش نظام ميول الإنسان الطبيعية، وأن للميول في الحالة

الطبيعية نظاماً خاصاً، وترتيباً منسقاً يقتضيان الاعتدال والتوازن، ولكن إذا وقع الإنسان في حبال الهوى تتشوش عليه هذا النظام الطبيعي وفسد، اتجهت قواه إلى غاية واحدة مطلقة، فيختل بذلك توازن الميول واتساقها الطبيعي، وينفرد واحد من هذه الميول بالزعامة، فيسخر جميع النزعات الأخرى إليه، ولهذا نرى القرآن وصف الهوى بأنه مفسد للنظام الطبيعي لهذه الحياة الذي يجب أن يسود فيه الحق، قال تعالى: ((وَلَوْ أَتَبَعَ الْآلِقُ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ)) [1].

وأن أعظم أضرار هوى النفس هو ما يأتي عن طريق الحكام الذين من واجبهم إقامة العدل في الأرض، فإنهم إن انقادوا لأهوائهم فحابوا الأقوياء وجاروا على الضعفاء يكن من أثر ذلك فساد في الأرض، لا يلبث أن يظهر بواذر بثورات تورث الخراب كما حصل في كثير من أوار التاريخ، ولهذا جاء في القرآن تعليماً لنا بما خاطب نبيه داود قال تعالى: { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } [2].

وأن أتباع هوى النفس يصرفنا عن حقائق هذه الحياة، ويرى أبو الفللفة الحديثة (فرنسيس بيكون) وهو من فلاسفة القرن السادس عشر إنه للوصول للحق يجب التخلص من أربعة أهام تسد علينا سبل الحقيقة ومنها -بل وأهمها- أهام الجنس، هذه الأهام تدخل فيها الأخطاء التي أنطبع عليها العقل تقليداً لمن تقدموه حتى ليهون على المرء أن يعادي الحق ويرفضه من أن يترك عقيدة أو رأياً رسخ في ذهنه بفعل الزمن والوراثة، ولهذا نرى القرآن عندما حاجج اليهود وأمرهم باتباع رسالة محمد وما جاء بها من الحق بين بأن عدم استجابتهم لدعوة الإسلام إنما هي بسبب أهواء نفوسهم التي تؤثر القديم ولما انطبعوا عليه من التقليد الأعمى لمن سبقوهم. قال تعالى: ((فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ

1 -سورة المؤمنون، الآية 71.

2 - سورة ص، الآية 26.

فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءُ هُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) [1].

والحق ان أكثر أسباب أتباع الهوى في هذه الحياة هو بسبب ضعف في النفس ونقص في المعرفة، فالهوى يملك على الإنسان عقله فلا يدرك ولا يتذكر ولا يفكر كغيره من الناس، بل تحوم نفسه كلها حول نقطة واحدة وحب الإنسان للشيء يقوي انتباهه إليه فلا يفكر الا فيه، ولهذا كان منطق الهوى مختلفا جدا عن منطق العقل، فالمقدمات في منطق العقل تولد النتائج ولكنها في منطق العواطف تتولد منها. ولهذا وصف القرآن الكريم أثر الهوى في الإنسان بأنه يضل به غير علم قال الله تعالى: ((وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ)) [2] وقال أيضا: { بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ)) [3].

والقرآن يصف العلاج للقضاء على هوى النفس وذلك بالتوجه الكلي إلى الله والامتناع عن مخالفة أمره، قال تعالى: ((وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)) [4]، هذه المراقبة لله مع جهاد النفس كفيلة بأن لا تخرج عن طريق الحق، ولا ترتاد سبل الضلال، وخصوصاً إذا كان هذا الجهاد النفسي في جو ديني تدفعه الرغبة في نيل ثواب الله العظيم [5].

ثانياً-الكذب ومظاهره :

الكذب: أصل الرذائل، به يتصدع بنيان المجتمع، ويختل سير الأمور، ويسقط صاحبه من عيون الناس فلا يصدقونه في قول. ولا يتقون به في عمل، وأكثر الناس في الحياة أصحاب حرف، وصاحب الحرفة محتاج في بيعه وشرائه وعمله إلى ثقة الناس به، والكذب يهدم هذه الثقة، لهذا كتب الله على الكاذبين الضلالة فقال سبحانه: ((إِنَّ اللَّهَ

1 -سورة القصص، الآية 50.

2 -سورة الأنعام، الآية 119.

3 -سورة الروم، الآية 29.

4 -سورة النازعات، الآية 41.

5 - عفيف عبد الفتاح طباره، روح الدين الإسلامي، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، 1984م، ص 225-227.

لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ))^[1]، وقال أيضاً: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ))^[2]، وتوعد الله الكاذبين بالعذاب الأليم يوم القيامة فقال: ((وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ))^[3].

والكذب ليس بغيضاً في جميع الظروف على الإطلاق، فهناك ظروف قد يكون فيها الكذب أجدى من الصدق وأنفع للإنسانية وذلك للإصلاح بين الناس يقول الرسول الكريم-p: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيمني خيراً أو يقول خيراً))^[4].

الخيانة: هي شر أنواع الكذب التي يتصف بها المرء وينقل ضررها مباشرة إلى سائر أفراد الأمة، وما انتشرت هذه الصفة في قوم إلا كانت نذيراً للخراب والفوضى، ولهذا نهى الله المؤمنين عن الخيانة قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ))^[5]. وأخبر الله أنه يبغضهم بقوله: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا))^[6]. فعلى الذين ينشدون بناء مجتمع سليم أن يتوجه أكبر سعيهم إلى محاربة هذه الرذيلة ليحصلوا على السلام في حياتهم.

خلف الوعد: ومن ضروب الكذب المكروهة خلف الوعد، وهي صفة تدل على أن صاحبها ذو شخصية ضعيفة، لا يرجى منها خير ولا تكون موضع ثقة، وهى تنزع المودة من بين الأفراد، ويحصل منها كثير من الأضرار ومن تضییع وقت الغير سدى، أو إيجاد أمل كاذب عنده، أو نحو ذلك. لهذا وصف الرسول-p - خلف الوعد بأنها من صفات المنافقين، فقال: ((آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان))^[7].

1 - سورة غافر ، الآية 28.

2 -سورة الزمر ، الآية 3.

3 -سورة النحل، الآية 116-117.

4 - متفق عليه، واللفظ للبخاري، في كتاب رياض الصالحين، باب الإصلاح بين الناس، ص127.

5 -سورة الأنفال، الآية 27.

6 -سورة النساء، الآية 107.

7 -رواه البخاري ومسلم، في كتاب رياض الصالحين، باب الأمر بأداء الأمانة، ص 106.

شهادة الزور: وهي من أنواع الكذب التي يترتب عليها أقبح الشرور الاجتماعية وأخطر المشاكل التي تؤدي بالأرواح، وتؤدي إلى ضياع الحقوق ونشر الفوضى، ولهذا قارن الإسلام أثمهما بإثم الإشراك بالله الذي هو شر الآثام في الإسلام قال الله تعالى: { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } [1]. ووصف الله عباده المقربين بقوله تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا } [2].

البهتان: وهو أيضا من ضروب الكذب الذي حرمه الإسلام، ويقصد به في الغالب النيل من إنسان في شرفه وعمله، وهو يسبب كثيرا من الأضرار والبلايا، ولهذا حذر الله بقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [3].

ففي هذه الآية يرشد الله المؤمنين ويحذرهم أن يأخذوا بالأخبار قبل الكشف عنها والتثبت منها ومن سيرة حاملها لئلا يصيبوا أقواما بسبب الجهل، فيصبحوا بعد ذلك آسفين نادمين.

النميمة: وهي من ضروب الكذب التي تدل على أن صاحبها ذو نفسية مريضة، لا هم له الا رؤية الناس متعاونين متخاصمين، وأن أكبر سلاح يحارب به المنام هو عدم الاستماع له، وهذا ما يأمرنا به الله سبحانه: { وَلَا تُطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ } [4].

فالمشاء بنميم هو ناقل حديث السوء من قوم إلى آخرين، ومثل هذا المنام نهى الله عن تصديقه وطاعته لأنه يفسد بين الناس [5].

ثالثاً:- احتقار الغير: من أهداف القرآن الكريم احترام الغير لحفظ وحدة الجماعة ونشر المودة بينهما والقضاء على أسباب التفرقة والعداوة. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ

1-سورة الحج، الآية 30.

2 -سورة الفرقان، الآية 72.

3 -سورة الحجرات، الآية 6.

4 -سورة القلم، الآية 10-11.

5 - عفيف عبد الفتاح طيارة، روح الدين الإسلامي، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، 1984م، ص 233.

خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [1].

يأمر الله المؤمنين في هذه الآية بأن يحترموا غيرهم ويحافظوا على سمعتهم وكرامتهم وشعورهم، فلا يستهزئون بأي فرد من الناس ذكراً كان أم أنثى، ولا يحتقرونه بالقول أو الإشارة باليد أو اللسان أو نحو ذلك لمجرد رؤيته رث الهيئة فقيراً أو ذا عاهة، إذ ربما كان المستهزئ به خير من المستهزئ، فيكون هذا قد ظلم نفسه بتحقيق من وقره الله، فضلاً عن أن المستهزئ به لن يرضى عن ذلك بل سوف يحمله الهزء على أن يفتش عن عيوب المستهزئ به ويذيعها، وأن لم يجد فيه ما يعيبه أختلق له معائب ونسبها إليه وألبسها ثوب الصدق فيتناقلها الناس وفي ذلك ما فيه من الضرر بالمستهزئ نفسه. فإذا علمنا ذلك كله أدركنا أن السخرية تورث البغضاء في القلوب، وتقطع روابط المودة بين الأفراد. ثم نهى الله أن يذكر أحد معائب غيره في حضرته والطعن في شخصه لأن ذلك داعية لإثارة العداوة أيضاً بين أفراد المجتمع. ويذكر الله في هذه الآية أيضاً أن المؤمنين كنفس واحدة لا يليق أن يطعن بعضهم بعضاً، فمتى عاب الإنسان أخ، فكأنما عاب نفسه وهذا قوله تعالى: ((وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ)) [2] كما نهى الله أن يدعوا أحد أخاه بلقب يكرهه ((وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ)) ولا فرق أن يكون اللقب المكروه صفة له أو لأبيه أو لأمه أو لغيرهم ممن له بهم صلة لأن ذلك يورث الحقد في الصدور.

ثم بين الله أن السخرية واللمز والتنازع بالألقاب موجبة للفسق والخروج عن طاعة الله، فلا يليق بالمؤمن أن يطلق عليه كلمة فاسق بعد أن عرف بالإيمان، والذين لا يرجعون عن اقتراف هذه الخصال الذميمة فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم لأنهم عرضوا لسخط الله.

رابعاً:- الكبرياء: رذيلة من الرذائل الاجتماعية، تغرس الفرقة والعداوة بين الأفراد فتقضي على التعاون والمحبة بينهم، والكبرياء لا تصرفنا عن محبة بعضنا البعض فقط، بل تجعل إصلاحنا الأدبي عسيراً وذلك بتعامي المتكبر عن نقائصه وعيوبه، وتقدير

1 -سورة الحجرات، الآية 11.

2 -سورة الحجرات ،الآية 11.

نفسه فوق قدرها، وصم أذنيه عن سماع كل حديث يرفع من حالة سوى حديث المدح والتملق من مادحيه، لأن من أعجبته نفسه أبى أن يسمع النصيحة من غيره فيكون ذلك حائلاً بينه وبين الاستفادة من علم العلماء واقتباس الفضيلة من الفضلاء فينزل إلى هوة من الجهل والضلال.

لهذا كان من سنة الله أن صرف قلوب المتكبرين عن سماع ما أنزله على رسله من البنيان والهدى لأن هؤلاء المتكبرين كتب الله عليهم الضلالة التي تؤدي بهم إلى غضبه وذلك من جراء كبريائهم. قال تعالى: ((سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَذَابِ يُتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ)) [1].

والقرآن يخبرنا أن المستكبرين كانوا أعصى الناس على الاستجابة لدعوة الرسل لهذا حكى الله عن قوم نبيه صالح: ((قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)) [2].

لهذا توعدهم الله المتكبرين بالعذاب الأليم في الآخرة فقال سبحانه: ((أَلَيْسَ فِي

جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ)) [3] أي أليست النار كافية لهم سجنًا وموئلاً بسبب تكبرهم!!

ولنسأل بماذا يفتخر المتكبر؟ هل بملاحته وقوته؟ أن الجمال يزول، وأقل مرض يضعضعه، وكل يوم من الزمان فعله بجسده إلى أن يصبح بعد سن الشباب موضع الضعف والهرم، وأن تباهى بماله وغناه فليعلم أن الموت لا يفرق بين غني وفقير، وأن الإنسان سيعترك كل ماله إلى غيره، لهذا جاءت وصايا القرآن تنهى عن الاختيال قال تعالى: ((وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا)) [4] أي لا تمشى متبخرًا كمشي الجبارين فإنك لن تخرق الأرض بمشييك وشدة وطئك، ومهما شمخت بأنفك فلن تبلغ الجبال ارتفاعاً.

1 -سورة الأعراف، الآية 146.

2 -سورة الأعراف، 75-77.

3 - سورة الزمر، الآية 60.

4 -سورة الإسراء، الآية 37.

ويقول تعالى في النهي عن التكبر بقوله تعالى : (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)) [1] أي لا تعرض عنهم بوجهك إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً لهم واستكباراً. هذا هو التكبر الذي كرهه الله لأنه من الصفات الذميمة التي تفسد المجتمع الإنساني، وتورث البغضاء، فما أحرى بالمربين والمصلحين أن يحاربوه ويبينوا شروره ليحصل المجتمع على المحبة التي هي عماد المجتمع.

خامساً:- الخمر والقمار: قال الله تعالى في تحريم الخمر ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)) [2]. اشتملت هاتان الآيتان على مواظب جليلة:-

فقد سمي الله الخمر والقمار رجس من عمل الشيطان، والرجس يدل على منتهى ما يكون من القبح والخبث، وذلك لما ينشأ عنهما من الشرور والفساد. وجعل الله اجتتابهما سبباً للفلاح في هذه الدنيا، فدل بطريق المقابلة على أن ارتكابهما أساس الخسران في الدنيا والآخرة. وجعلهما سبباً لعداوة والبغضاء وهما شر المفساد الدنيوية وأخيراً جعلهما صادين عن ذكر الله وعن الصلاة وهما عماد الدين، وفيما يلي بيان ذلك مع عرض أضرار كل من الخمر والقمار على حده.

مضار الخمر: مضار الخمر كثيرة لا تحصى، فهي تؤدي بالشارب إلى أضعاف صوت ضميره وذهاب حيائه ولا شيء يضر بالمجتمع الإنساني أكثر من أضعاف صوت الضمير أو ذهاب الحياء من الإنسان، فإن ذلك يدفع بالشارب إلى نبذ الأخلاق وفعل كل منكر وقبيح، وأن كثيراً من حوادث الزنا والخيانة الزوجية تقع تحت سلطان الخمر، مما يؤدي إلى خراب البيوت والندم العميق، كما أن الواقع الملموس أثبت أن كثيراً من حوادث الشغب وما تؤدي إليه من ارتكاب الجرائم تحدث في مواطن شرب الخمر من الحانات وغيرها.

1 -سورة لقمان، الآية 18.

2 -سورة المائدة، 90 الآية -91.

وقد يدافع البعض عن الخمرة فيقول: ان الآلام النفسية قد اشتدت، والمحن قد كثرت ولا دواء لها الا الخمر. والجواب على ذلك : ان المحن النفسية لا يقضى عليها بالخمر، بل بتقوية الوجدان الخلقي وتربية النفس على ضبط النفس والصبر الجميل والغذاء الروحي. أما إذا تألمت النفس فأخذ المتألم الكأس ليخفف الألم ويضعف صوت الضمير فإنه يستبدل بألمه داء أشد شراً ، وأن ألمه لا يلبث أن يعاوده بعد ذهاب أثر الخمر. فيجعل الإنسان ضعيفاً لا يملك زمام نفسه، مما يؤدي به إلى الانهيار العصبي أو إدمان المسكرات فيسير في الحياة سير من ينتحر ببطء فيقضي على نشاطه ومواهبه العقلية هذا فضلاً عما ينشأ عنه أيضاً من الضرر الصحي.

وأما الضرر الاجتماعي فالخمر سبب لوقوع العداوة والبغضاء بين الأصدقاء وغيرهم، وذلك أن شارب الخمر يسكر فيفقد العقل الذي كان يمنعه من الأقوال والأعمال القبيحة فيسيئ إلى الناس ويسرع إليه الغضب بالباطل فيكون سبباً للمشاجرة والخصام. كما ان الخمر يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، لأن السكران لا عقل له ولا وعى يذكر به ربه ويثني على نعمه ويعبده، والعبادة لا تقوم الا على العقل. من هنا كان الإسلام الذي حرم الخمر وشرع عقوبة للسكران أسمى من غيرها من الأديان التي لم تحرم الخمر والتي لم تشرع العقوبة لمن يتناول الخمر. فالدين من أول واجباته دعوة الإنسان لعبادة خالقه، وليس هناك عبادة لله إذا سكر الإنسان، فتحريم الخمر في الإسلام مع بيان ضرره هي مفخرة له ودليل على أنه دين روعي يقوم تشريعه على ما يهذب النفس ويسمو بها عن شرور المادة.

مضار القمار: أول ما يطالنا من مضار القمار هو ما يحصل منه من الضرر المالي للمقامر، وهنا نثبت ما ينشأ عنه من الضرر بين أفراد الأمة فهو مجلبة للعداوة، فإن ربح المقامر لا يقوم ألا على خسران الغير فهو مغتصب مال أخيه على مرأى منه، وكلما أوغل الإنسان في الخسارة اشتد حنقه على الرابح الذي يسلبه ماله في لحظات قليلة، هذا المال الذي بذل في جمعه عسارة جهده وعقله، وكثيراً ما يتمادى لاعب القمار في الخسران حتى يفقد كل ماله فيؤدي به ذلك إلى عدم السيطرة على نفسه فينتحر أو

يتعرض للرابح بالثتم ويضمر له كل شر. وربما انتهى ذلك بالشجار كما هو مشاهد عند بعض المقامرين.

والقمار يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، فالمقمار تتوجه جميع قواه العقلية إلى اللعب الذي يرجو منه الربح ويخشى الخسارة، ويستغرق في ذلك زمناً طويلاً ينسيه خالقه ويلهيه عن عبادته ويشغله عن الصلاة التي تسمو بروحه، وليس هناك عمل من الأعمال يشغل الفكر ويصرفه عن كل ما سواه مثل القمار لذلك كان هذا الاستنتاج الذي تطرق إليه القرآن آية في دقة الوصف وصدق الواقع. فتحريم القمار برهاناً على أن الإسلام دين روعي يحرم كل ما يضر الإنسان ويلهيه عن عبادة خالقه.

سادساً:-الظن السيء والتجسس والغيبة: وجاء في القرآن الكريم في الدعوة إلى احترام الناس قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)) [1].

نهى الله في هذه الآية عن ظن السوء بالمؤمنين لأنه مدعاة إلى تحقيرهم وإلى إيقاع الضرر بهم، ولهذا حذر الله المؤمنين من بقوله: { ان بعض الظن أثم } ويشترط في حرمة الظن أن يكون المظنون بهم ممن عرفوا بالصلاح والأمانة، وأما الذين يتعاطون الخبائث والمنكرات فلا يحرم الظن السيء بهم، ثم نهى عن التجسس على المؤمنين والبحث عما استتر من أمورهم، لأن ذلك تعرض منهم لما لا يعينهم وما لا يفيد وهذا لا ينمّر الا الضغينة.

أما ما تفعله الحكومة من بث العيون لتتبع خطوات المفسدين الداعين إلى الفتنة فهو لا يشمل النهي المنصوص عليه في الآية القرآنية السابقة، لأن النهي غايته كل ما يثير العداوة بين الناس. وأخيراً نهى الله عن الغيبة وهي : ان يذكر الإنسان أخاه المسلم في غيبته بما يكرهه، سواء أكان الذكر صراحة أم كناية أم إشارة أم رمزاً، وسواء أكان ذكره متعلقاً بدينه أم دنياه، وبخلقه أم خلقه، لأن في ذلك إشارة للعداوة بين الناس.

وقد نفر الإسلام من الغيبة هذه، حتى جعل المغتاب كأنه يأكل لحم أخيه المؤمن ميتاً، فقال سبحانه: ((أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)) أي يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ؟ فإذا كنتم لا تحبون ذلك بل تكرهونه، فذلك فاكروهوا أن تغتابوا في حياته، وأما الجاهر بالمعصية والفسق والداخل في مواطن الريب فلا يحرم ذكر حاله إذا قصد التنفير من عمله والتحذير من سلوكه، ثم ختم الله الآية بالدعوة إلى تقواه لأنه يتوب عمن يمتنع عم هذه الصفات الذميمة). [1].

سابعاً:- اللغو: وفي الإسلام عامل قوى للسمو الروحي والنجاح في هذه الحياة، هو ما دعا إليه القرآن الكريم من الأعراض عن الثثرة والهزل، والباطل من القول والفعل، وكل ما توجب المروءة إغائه وهو ما سماه الله لغواً، جاء في القرآن الكريم: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ } [2].

وقد تكرر في القرآن النهي عن اللغو بصور شتى، قال الله تعالى في وصف عباده المقربين: ((وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)) [3] ويقول سبحانه في وصفهم ((وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)) [4] أي مروا معرضين عنه مترفعين بأنفسهم عن مشاركة أهل اللغو، ويدخل في معنى اللغو ما استحدثه الناس من صنوف اللهو الفاجر الذي لا يهذب النفس ولا يرقى الشعور، وذلك لاشتماله على كل ما يثير الشهوات ويفسد الخلق الإنساني.

وان من أسباب رقي الشعوب إعراضها عن اللغو، وانهماكها في العمل المفيد المثمر، بعكس ذلك الشعوب المتخلفة التي يكثر في أفرادها اللغو والكلام الفاحش في أحاديثهم وإضاعة الوقت بدون فائدة مجدية.

ثامناً:- الشراهة: كلما ضعفت رغبات الفرد الروحية اشتدت بطبيعة الحال رغباته المادية وتركزت غالباً في شهوة الطعام. ومن الملاحظ أن الإسراف في شهوة الطعام

1 - غيف عبد الفتاح طيارة، روح الدين الإسلامي، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، 1984م، ص 235.

2 -سورة المؤمنون، الآية 1-3.

3 -سورة القصص، الآية 55.

4 -سورة الفرقان، الآية 72.

يذكر الرغبة الجنسية، ويؤدي بالإنسان إلى أن يعتبر الحياة مجرد متعة مادية، فتضعف فيه الصفات الروحية من الإحسان والتضحية وإنكار الذات وتحل محلها الأنانية وقسوة القلب والاستكانة إلى الترف، وذلك يؤدي به إلى أن يصبح عضواً فاسداً في المجتمع الإنساني لا يستفيد منه الاستفادة التي ترفع من شأنه وترقي حاله.

ومن أجل هذا توجهت وصايا القرآن الكريم إلى التحذير من الانقياد لرذيلة الشراهة، ووصف صاحبها بأن مكروه من الله قال الله تعالى: ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)) [1] كما ان الشراهة تؤدي إلى تلبذ الأذهان، والانصراف عن تغذية العقل والروح بالمعارف التي يحتاجها، ولا يكون هم لشره الا التفكير في أصناف الطعام، والانهماك في متع الحياة الرخيصة، فيصرفه ذلك عن تركية نفسه والسمو بها عن النقائص، فيخلع عن إنسانيته ويصبح كالحيوان، وهذه الصفة التي ينحدر إليها الإنسان وصفها القرآن بأنها من صفات الكافرين. قال الله تعالى: ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمْتَحِنُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)) [2] هذه وصية القرآن في الاعتدال في المأكول والمشرب لخدمة الناحية الروحية التي هي من أهم أهداف الإسلام.

تاسعاً: -الزنا: الزنا رذيلة تحرم الإنسان الطمأنينة النفسية التي يتمتع بها النفس الطاهرة المستقيمة، فالعفة تجلب لنا السلام وطمأنينة النفس، بينما الزنا يدخل القلق إلى نفوسنا ويولد فيها الشعور بالإثم ذلك الشعور الذي يصيب النفس بأضرار شتى، وقد وصف أحد الذين تورطوا في هذه الرذيلة نفسية الزاني بقوله تعالى: {يَحْسُبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ} [3] وكل نظرة تأنيباً لهم.

والزاني لا يسلك الطريق المشروع، وهو الزواج لأنه يريد أني يستمتع على حساب غيره استمتاعاً لا يكلفه شيئاً من التضحية والإخلاص للغير، بينما الزواج ناموس طبيعي يفرض على المرء أن يبذل ببعض حياته لغيره، ويخلف أولاداً يحسن تربيتهم فيصبحوا أفراداً صالحين غيورين على الخير العام. هذه هي المتعة الروحية التي يشعر بها المتزوجون.

1- سورة الأعراف، الآية 31.

2 -سورة محمد ،الآية 12.

3 -سورة المنافقون، الآية 4.

والزنا كالمسيل يغرق الصفات الأدبية ويطفئ ما وجد من نور وخلق كريم، ويخلف لقطاع يكونون عالة على المجتمع، ويحملون شعوراً لا يمحي من الألم، ونظرة حق على هذه الحياة التي حرمتهم لذة العيش في كنف أبوين يحنوان عليهم ويهيئان لهم مستقبلاً زاهراً.

والزواج هو الرابطة الإنسانية التي تصل ما بين الجنسين بالود والرحمة، والتضحية كما صرح بذلك القرآن الكريم : ((وَجَعَلْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً))^[1] [بينما الزنا يجعل علاقة الجنسين حيوانية قائمة على اللذة العابرة والمنفعة الشخصية مما يجر إلى كثير من العدوان.

لهذا حرم الإسلام الزنا، ووصفه بأنه فاحشة، وأنه طريق السوء الذي يجب على الأمة ان تتجنبه قال تعالى: ((وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا))^[2].

وكان من سمو الإسلام أن شرع العقوبة الزاجرة لهذه الرذيلة -مائة جلده-أو الرجم للمحصن، وذلك لأن الأخلاق ليس لها من الاحترام ولا يمكن تطبيقها إذا لم يكن لها من قوة العقوبة ما يكفي ان تترج النفوس المريضة الشريفة بخلاف ما إذا كانت تعاليم الأخلاق في دائرة نظرية بحتة، فإنها لا تؤدي إلى الغرض المطلوب..

عاشراً:-الحسد : الحسد من الرذائل الخلقية أيضاً. وهو من أقبح الخصال التي تصيب الإنسان وتتكد له عيشه، فإن الحسود الذي يتمنى الشقاء والنحس لغيره يُشقي نفسه أيضاً بهذا الحسد، فهو بدلاً من أن يستمد السرور مما أوتي من خير نراه يستمد العذاب من الخير الذي أوتيته سواه، وعصرنا الحاضر يقوم فيه الحسد بدور خطر ذي أهمية بالغة، فالفقير يحسد الغني، والنساء يحسدن الرجال، والقبيلات يحسدن الجميلات، وهكذا مما يجعل بعض الأمة يكره بعضها الآخر ويتمنون لهم الشقاء.

فالحاسد خلقة اللؤم، ولذته الوشاية بين الناس والوقيعة والدس بينهم. فلا ينفك يدس للرجل الناجح حتى يشوه سمعته لأجل أن يحل محله، أو يجعل منه إنساناً فاشلاً مثله.

1 -سورة الروم، الآية 21.

2 -سورة الإسراء، الآية 32.

فالحسود إنسان فقد الثقة بنفسه واستشعر العجز عن تحقيق غاياته، لذلك نهى القرآن عن الحسد : ((وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ)) [1].

نهى الله في هذه الآية عن تمنى ما أوتي الغير وهو التعرض له بالقلب حسداً، ثم أخبر الله المؤمنين بأن ما يكتسبه الإنسان هو نتيجة عمله وسعيه، فعلى المؤمنين ان يعتمدوا على جهودهم ومواهبهم لنيل ما يرغبونه، وما طرحوه فليسألوا الله ان يعطيهم من فضله وإنعامه.

وأمر الله في موضع آخر بالاستعاذة به من الحاسد بقوله تعالى: ((وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)) [2] والحاسد يستحق الرثاء والشفقة مما يلاقيه من ألم، فما أخرى بنا أن نقابل حسد الحاسدين بالعفو عنهم وعدم مؤاخذتهم على حسدهم الذي لا يضر الا أنفسهم وهذا ما يأمرنا به الله سبحانه: ((وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۚ فَاعْتُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ)) [3].

علاج الحسد : وهناك وسائل شتى للتخلص من الحسد منها:

ان يقع الإنسان بما يصادفه في حياته من خير، ويؤدي واجبه مع عدم المقارنة بين حاله ومن هو أسعد منه خطأً ، بل ينظر إلى من هو دونه ليدرك فضل الله عليه. حادى عشر-الغضب :الغضب من الرذائل الخلقية التي إذا تحكمت في نفوس الناس وتمكنت من مجتمعاتهم كان لها أسوأ الأثر في حياتهم، ونتاج بشعة في تمزيق روابط المودة بينهم.

فالإنسان حين يشتد غيظه يفقد الرشد والصواب، ويصبح وحشاً ضارياً لا يدري ما يفعل، ويظن أنه بذلك يظهر بمظهر المحترم لنفسه المحافظ على كرامتها، وهو إنما يظهر بمظهر الطائش الأحمق، وهو لا شك خاسر لأن الغضب يعتبر شروعاً في الاعتداء بينما يعتبر المسلم دليل فطنة ورجاحة عقل.

1 -سورة النساء، الآية 32.

2 -سورة الفلق، الآية 5.

3 -سورة البقرة، الآية 109.

كما أن الانفعال الذي يثيره الغضب ضار بصحة الإنسان من وجوه كثيرة كما أثبت الطب ذلك لذلك كله جعل الإسلام من صفات المتقين الذين يستحقون رضوان الله عدم الاستسلام للغضب، قال الله تعالى في وصفهم: ((وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))^[1] فالغيظ هو أشد الغضب، وكظم الغيظ هو الإمساك على ما في النفس من الغضب حتى لا يظهر له أثر.

لا يدعو القرآن إلى كظم الغيظ فقط بل يدعو إلى العفو عن المعتدي الذي أثار الغضب ومقابلته بالإحسان، فالإنسان لا يثار غضبه إلا عند الاعتداء عليه أو انتقاص حقه من الغير، وهذه أرفع منزلة من سمو الخلق يمكن أن يملكها إنسان عند فوران غضبه.

فالإنسان في غضبه حاكم غير منصف، لا يرى في وقت غضبه صواباً لذلك تأتي أحكامه بعيدة عن الحق، لهذا جعل الإسلام من صفات المؤمنين العفو عند الغضب قال الله تعالى: ((وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ))^[2].

والرسول محمد - p - عد مجاهدة النفس وامتلاكها عند الغضب من إمارات البطولة: ((ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب))^[3] والمعنى: ليس القوى الذي يصرع خصمه بل القوى الذي يسيطر على نفسه عند الغضب، فعلى الذين ينشدون الرقي الأدبي، أن يتعودوا امتلاك نفوسهم ويضبطوا كل ثروة يبعثها الانفعال الطارئ فينطلق بها الفم قبل ان يحمصها العقل فأنهم أحرى بذلك أن يجتنبوا مشاكل لا حصر لها

ثاني عشر- الرقى وتعليق التمام والتولة:

الرقى : كلام يتلى على المريض طلباً لشفائه.

والتمام: جمع تميمة وهي التعويذة التي لا يكون فيها أسماء الله وآياته المتلوة ولا الدعوات المأثورة تعلق على الصبي. قال ابن الأثير التمام : خرزات كان الغرب يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين.

1 -سورة آل عمران، الآية 134 .

2 -سورة الشورى، الآية 37.

3 -متفق عليه، في سبل السلام، ج4، باب الترهيب من مساوئ الأخلاق، ص2032.

والتَّوَلَّى: بتشديد التاء وكسرهما وفتح الواو. قال الخطابي: ضرب من السحر، وقال الأصمعي: هو ما يحبب المرأة في زوجها ويكتب في الورق أو يقرأ على الخيط. عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله -p يقول: ((أن الرقى والتمايم والتَّوَلَّى شرك))، قالت زينب (امراته) : ولم تقول هذا؟ والله لقد عيني تقذف (أي ترمي بالوجع) فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيني، فإذا رقاني سكنت. فقال عبدالله : إنما ذاك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها. إنما كان يكفك ان تقولي كما كان رسول الله -p يقول : ((أذهب البأس رب الناس ،أشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك ،شفاء لا يغادر سقماً)) [1].

وإنما كانت هذه الأعمال شركاً ،إما لأن الكلام الذي تتضمنه تلك الرقى والتمايم والتَّوَلَّى كان مشتملاً على معنى الشرك، أو لأن اعتقاد فعلها بنفسها يفضي إلى الشرك، وكلا المعنيين لا زالت آثاره مشهودة لنا في عصرنا الحاضر . ، كما لا نزال نجد الخزرات تعلق على الأطفال في الريف والأحياء الشعبية، وقد تطورت إلى تماثيل للنعال وأكف الأيدي مما يسمى (خمسه وخميسه) وهي بعينها التعاويذ القديمة التي يعتقد الناس إلى أنها تحمى من العين بنفسها، كما يعتقدون أن العزائم التي يرددوها المشعوذون ،وما يكتبونه من الأوقاف والمربعات والأرقام في مسائل الحب، وما زال هناك أناس يقصدهم العامة لهذا الغرض [2].

ثالث عشر- سب الدهر: كان من عادة العرب أن يسبوا الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بهم من موت أو تلف مال، فلما جاء الإسلام نبههم إلى ما في هذا القول من خطر على عقيدة المؤمن بربه، إنما تسرب هذا القول المنكر إلى الفكر العربي من الدهرية القدامى الذين نسبوا كل شيء إلى الدهر فقالوا: ((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)) [3] ثم تسربت هذه الكلمات المشبوهة بدورها إلى الناس في عصرنا الحاضر، فما نزال نسمع من الجهلة والمتعلمين سباباً للزمان كلما نزل بهم مكروه أو ضاقت بهم

1 -سنن ابن ماجه،باب تعليق التمايم،حديث 3530،ج2،ص1166.

2 - عبد القادر أحمد عطا، هذا حلال وهذا حرام، ص30-31.

3 -سورة الجاثية، الآية 24. 3 -البداية والنهاية،ابن كثير، ج1،ص33.

سبل الحياة. وترجع خطورة هذا القول على عقيدة المؤمن من حيث انه سباب موجه إلى فاعل النوازل والمكروهات التي تصيب الإنسان، باعتبار الفاعل هو الزمن والدهر كما يزعم من يسبه ويلعنه.

ولما كان فاعل كل شيء في الوجود هو الله الفعال لما يريد، والذي لا يشركه في حكمه أحد، فقد تحققت الشبهة في أن هذا السباب الموجه للزمن خطأ. إنما هو موجه إلى الله على الحقيقة. وإذا كان هذا الذي يسب الزمان شديد الإيمان بالله، عارفاً بأنه الفعال القاهر فوق العباد، فقد تشبه بالدهرية الذي ينسبون فعل كل شيء إلى الدهر، والتشبه بالملحدين والكفار محذور في المظاهر العامة للمسلم، فكيف بالعقيدة التي هي قوام الإسلام، عماد الإيمان ولا سيما في عصرنا الذي جندت فيه الشيوعية اليهودية كل قواها للدعوة إلى نحلة دهرية إلحادية متطورة!!

وقد أخرج مسلم وأبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ- فيما يرويه عن ربه: ((يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)) [1] وهذا لفظ أبي داود. [2]

رابع عشر :- الغرور : من علائم الخير في كل أمة أن تتجو من مرضين خطرين: مرض الغرور، ومرض احتقار النفس.

أما الغرور فهو أن ترى أفرادها يحتقرون كل من عداهم، ويتطاولون إلى ما ليس في قدرتهم، ويتدخلون فيما ليس من شأنهم، ويحكمون علم مالم يحيط به علمهم، حتى ليرتفع أحدهم عن الإصغاء إلى نصيحة والاستماع لرأي والخضوع لكبير، والإجلال لعالم... وسياسياً لا تغيب عنه شاردة وعظيماً لا يرى بجانبه أحد يستحق الإجلال والإكبار.

هذا المرض هو الذي تبثلى به الأمم الضعيفة المتنقلة من طور الخمول إلى طور اليقظة أو المتردية من شامخ العزة إلى درك الضعف والذلة... وأنه لمرض يتفشى في أمتنا اليوم، وحسبك ان تستمع إلى أحاديث الناس في المجتمعات العامة وفي الطرقات

المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي ————— د/ وفاء محمد عزت الشريف
والأندية، لترى كيف يحمل كثير منهم مبضع الطبيب يجرح به هذا أو يقطع به ذاك،
وكيف ينطوي على غرور يجعل رأيته فوق الآراء، ونظره فوق الأنظار وعلمه فوق كل
علم.. وهو لا يفتأ في حديثه يصف الناس بالحماقة.^[1]

خامس عشر:- احتقار النفس: أما المرض الثاني فهو مرض احتقار النفس.. .
تجتمع إلى رجل من المرضى بهذا المرض النفسي فتراه محطم الأعصاب، مسلوب
الإرادة، فاقد الأمل، لا يثق بنفسه ولا بأتمته، ولا يرى له شيء في الحياة لا يستطيع ان
يعمل شيئاً، وما أقساه من مرض على الأمة إذ يشمل فيه الوعي والحياة والحركة.
ويجعلها ذليلة أمام كل جبار، ضعيفة أمام كل قوي... وهذا المرض متفشي في
أمتنا أيضاً، فكم من أمتنا من قضى عليه الخمول والكسل والعزلة! ولو سألتهم عن ذلك
لأجابوك: من نحن؟ ما قيمتنا؟ وإذا أحاط الشر بأمتهم رأيتهم يتسللون هاربين إلى البيوت
والمعابد، فإن طلبت إليهم أن يساهموا في البلاد قالوا لك: وما شأننا في هذه الحياة؟ وما
نستطيع ان نعمل؟ وهل نستطيع ان نوقف الشمس أو نؤخر عجلة الزمان؟

مثل هؤلاء في مجتمعنا كثيرون، وأعجب من ذلك أن ترى في هؤلاء المصابين
بمرض الخمول والكسل والاحتقار. ومن هو مصاب بداء الغرور أيضاً فهو يقدر نفسه
في أتمه تقدير المغرور المتبجح، ولكنه يضع نفسه أمام الأعداء موضع الحقير الذي
ليس من حقه ان يرفع رأساً أو يطلب كرامة! وما أكثر هؤلاء الذين تراهم ينتقصون أمتهم
ويمجدون أعداءهم، ويزدرون تاريخهم، ويكبرون تاريخ غيرهم. ويحتقرون عقائدهم وهم
بالعقائد الباطلة لدى الأمم الأخرى أشد إعجاباً وأكثر تقديراً...

وإذا أولهم الخطب في أمتهم رأيتهم دعاة هزيمة، وأبواق خذلان يبثون في قومهم
أن أعداءنا لا يُقاتلون وأننا في وقوفنا في وجههم نقضي على انفسنا وعلى مستقبلنا!
أما بعد فهذان مرضان خطيران: الغرور بالنفس واحتقارها وازدراؤها، وما أجمل
الإسلام وتعليمه حين نهانا عن هذين المرضين، وابعدنا عن التخلق بهما.. فهو يبعدنا
عن الغرور بتذكيرها دائماً بقدرة الله فوق قدرتنا، ونعمة الله علينا في كل ما نعتر به من

1 - مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، بيروت - لبنان، المكتب الاسلامي، الطبعة الرابعة 1397هـ،
ص11-10.

مال وجه وعلم وفضل قال الله تبارك وتعالى: ((وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)) [1] وقوله: ((وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)) [2].

ويمثل هذا الأدب الإلهي أبعد الإسلام الغرور عن المسلم، فما تراه إذ كان مسلماً حقاً يحتقر ذا فضل ويزدري ذا نعمة، والرسول -p- خير قدوة وأسوة لنا في هذا فقد قال لرجل وقف بين يديه يرتعش خوفاً منه: ((هون عليك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)) يا لأدب النبوة ما أروعه وما أبلغ أثره ((أنا ابن امرأة من قريش)) هذه كلمة لم يقلها رجل مهزوم أو وضع ولا مغموور... وإنما قالها رجل أكرمه الله بالرسالة، وآتاه الحكمة والنبوة وتوجه بإكليل النصر، ومع ذلك فلم يزد في نفسه على أن يقول للناس ((إنما أنا ابن امرأة من قريش)) فهلا يرى هؤلاء المغرورون الذين يؤذون الأمة بدعواهم، ويتناولون عليها بإثارة علمهم هلا يرون في تواضع الرسول ما يردهم إلى حقيقتهم في أنفسهم ومكانتهم من الناس؟

أما أدب الإسلام في الثقة بالنفس والابتعاد عن احتقارها، فانك لتراه واضحاً في هذه الآيات التي ترفع من معنويات الأمة وتحملها رسالة الإنقاذ والإصلاح قال الله تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) [3].

هذه تعاليم الإسلام في بث الثقة بالنفس ثقة لا يقتلها الغرور.. وأنت أيها المسلم لا تضع نفسك فوق منزلتها فتكون مغروراً مخدوعاً، ولا تترك نفسك دون منزلتها فتكون حقيراً مهاناً. ولكن ضع نفسك في موضعها الحسن، وانظر دائماً إلى مزاياك ونقائصك، فما وجدت من ميزة وفضل فاحمد الله عليه، واطلب المزيد منه، وانفع به الناس ولا تمنن به عليهم فيحبط عملك وأجرك ويسوء ذكرك، وما وجدت في نفسك عيب ونقص فتداركه بالتربية وعاجله بالعلاج، ولا تركن إليه فيقتلك اليأس وتكون من الهالكين. [4].

1 -سورة النحل، الآية 53.

2 -سورة الإسراء، الآية 85.

3 -سورة آل عمران، الآية 110.

4 - مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، ص 10-15.

الفصل الثالث: (الشيطان وغاياته)

أولاً: من يتبع خطوات الشيطان: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (([1] "يا من آمنتم بالله حق الإيمان أحذروا أن تسلكوا المسالك التي يغريكم بسلوكلها الشيطان، فإن الشيطان وظيفته الإغراء بالشر لا بالخير، والأمر بالفحشاء والمنكر والبغي وينهاكم ويبعدكم عن العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى فلا تتبعوا سبل ومسالك ومخططات الشيطان لإيقاعكم في أعمال الفسوق والكفر والشرك والعصيان[2].

ومن وسائل الشيطان لإهلاك وإضلال الإنسان التزین" بالإغواء والإغراء: والتزین: من زين زانه يزينه زيناً أي حسنه وجمله، وزينه تزينياً حسناً وجمله، لقوله تعالى: ((وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))[3] أي جمل وحسن لهم الشيطان أعمال الفسوق والكفر والنفاق والعصيان، إذا فعلوا أعمال الكفر والفسوق والعصيان رضي عنهم الشيطان وخلا بينهم، وبين مكائده فيحس الإنسان بالراحة البسيطة السريعة العاجلة، ويفعل ذلك الشيطان ليكرر الإنسان أعمال الفسوق والعصيان فيريحه الشيطان من وسوسه وضلالاته، فيريحه بعض الوقت ليعتقد هذا الإنسان المغرور أن في ارتكاب المعاصي يريح النفس والأعصاب، فنجد المدمن على التدخين يعتقد ظلاماً وغشاً لنفسه وكذباً وزوراً. يعتقد ان التدخين يريح الأعصاب ويهدأ اضطراب النفس، وكذلك يعتقد مدمن الخمر والحشيش والأفيون، وكل المخدرات، وكذلك يفعل المدمنون على مشاهدة الأفلام والتمثيلات والمسرحيات والغناء والرقص أقطع وأشنع وأقبح من ذلك، فقد جمل وحسن وزين الملعون الشيطان لكثير من الملايين من الناس الرشوة والربا والسلب والنصب والنهب وسبحانه وتعالى قال: ((أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا

1 -سورة النور، الآية 21.

2 - عبد الخالق الطعار، وسائل إهلاك وإضلال الشيطان للإنسان، ص 167.

3 -سورة الأنعام، الآية 43.

يَصْنَعُونَ^[1]) فأهل العصيان زين لهم الشيطان كل قبيح وقبح وبغض الطيب، كما يبغض الشيطان لهم ويقبح لهم كل مליح. فلعبة الشيطان المكشوفة للمؤمنين والتي غرر بها الفاسقين السفهاء السفلاء الأغبياء أنه "الشيطان" يزين كل قبيح ويقبح كل مليح^[2].
ثانياً: تخطيط جديد: اتبع الشيطان جميع الوسائل لإضلال الناس إلى ان جاء الإسلام، فاتبع كثير من الناس الدين الجديد، وابتعد الناس عن غواية الشيطان، ولكن قوى الشر التي تتولى الشيطان لم تلق السلاح بل سلكت سبلا جديدة تتناسب مع التغيرات التي حدثت في الجزيرة العربية في النفس البشرية، وفي واقع الحياة، نعم عدلوا من خطتهم، فأصبح همهم أن يمزقوا وحدة المسلمين، ويوقعوا بينهم العداوة والبغضاء فحببوا إليهم الذنوب والمعاصي التي توهن صلتهم بربهم، وتبعدهم عن دينهم قال تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخُمُرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ))^[3].

وقد كشف لنا الرسول الكريم -p- عن مخطط الشيطان الذي يوسوس به للإنسان، ويوحي به لأتباعه ليضلوا به المسلمون وحذرنا منه، وهذا نحن نرى مصداق ما أخبر به الرسول -p- فيما يرمينا به الشرق والغرب من مبادئ فاسدة، وعقائد ضالة، ودعوات صريحة إلى الفساد والذنوب والمعاصي في الصوت الماجن والصورة العارية والتمثيلية الهابطة والفيلم الوقح والفكر المسموم..

ثالثاً: حبل النجاة: وكما كشف لنا الرسول -p- مخططات الشيطان وأعدائه بين لنا سبيل الخلاص في كل عصر وحين. أنه سبيل واحد مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة، أنه الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله بتعلمها وتطبيقها في واقع الحياة في السلوك الفردي، وفي المجتمع الأسري والبشري، أو فيهما التعليمات الإلهية التي تجعل الإنسان عبداً لأله واحد هو الله، ولا تبقى فيه ركنا لغير الله، وعند ذلك لا يستطيع الشيطان وأعداؤه أن يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى قلبه ونفسه.

1 -سورة فاطر، الآية 8.

2 - عبد الخالق العطار، وسائل إهلاك وإضلال الشيطان للإنسان، ص 88-89.

3 -سورة المائدة، الآية 91.

رابعاً: حب المعصية وألفها واعتيادها: إذا ألف الإنسان معصية من المعاصي، ولم يتب منها، فإن الشيطان يستولى بها على قلبه، وتستولى على عقله وتفكيره حتى اللحظات الأخيرة من حياته، فإذا أراد أقرباءه أن يلقنوه الشهادة ليكون آخر كلامه لا إله إلا الله طغت هذه المعصية على تفكيره فتكلم بما يفيد انشغاله بها، وربما أدركه الموت في المعصية نفسها فيلقى الله على تلك الحال التي تغضبه.^[1]

خامساً: مواجهة الفتن: إذا دققنا النظر، وفتحنا عيون البصائر، وجدنا أن توارث تلك العمياء يرجع سببه في الحقيقة إلى خلل طراً على جهاز الدعوة الإسلامية الإداري وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاتخذ هذا الجهاز إحدى صورتين: -أما التعطيل الكامل عن العمل، وبقاؤه تاريخاً وتراثاً يدرس وتهتز له الرؤوس إعجاباً بحكمة الإدارة الإسلامية.

-وأما أنه يعمل على صورة هزيلة لا تكفي لكبح رؤوس الفتنة قبل أن تستفحل. ولا يكتف جهوده لتتوازن مع ضخامة الفتنة الناشئة، ولا يلاحق مصدر الفتنة في مكانها البعيد اعتماداً على من يحضرها من علماء المسلمين، الذين من يكونون أصبحوا ذبولا لمثير الفتنة ومشعل نارها.

أي: أن تقصيراً حدث في كم الدعوة وكيفها على السواء، وقد يكون لهذا التقصير مستند شرعي، وهو مسألة (فرض كفاية) فما دام المنكر الذي نخشى منه الفتنة قد نال كلمة عابرة من النهي أو كراهية بالقلب فقد انتهى الأمر. والحق أن هذا الفهم قاصر وغير منضبط في فهم قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام.

بل ان النهي عن المنكر والأمر بالمعروف يكون باليد، واستفراغ جهود الأيدي في منع المنكر فإذا لم يكن تحقيق الهدف فليكن بالدعوة بالقول وتكثيف الجهود في ذلك وإلا فبالقلب، ومعناه كراهية أهل المنكر، وعزلهم عن المجتمع باتخاذ موقف سلبي إزاءهم فلا يخاطبون، ولا يؤكلون، ولا يشاربون أما ان تتهاهم بالقلب ونخالطهم، ونتودد إليهم، فهذا ما لم يشرعه الإسلام.

ولقد حذر الله تعالى من الفتنة التي توشك أن تعم البلاد فقال: ((وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً))^[1] [تفسير هذه الآية متردد بين كونها في الصحابة خاصة، أو في جميع المؤمنين وأحسن ما جاء في معناها قول ابن عباس-رضي الله عنه- الذي رواه الطبري قال (أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعصمهم الله بالعذاب) وبه قال الضحاك ويزيد بن أبي حبيب وغيرهما.

ويدل على ذلك أحاديث كثيرة منها ما أخرجه أحمد عن حذيفة أن رسول الله -p قال- ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه ولا يستجيب لكم))^[2].

ومما يدل على وجوب تدارك الأمور التي تحدث بين المسلمين في بدايتها، قبل أن يستفحل خطرهما قال تعالى: ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَتَأْتِلُوا إِلَيْهَا تَبْغِي حَتَّىٰ تَقِيَّ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ))^[3].

فإذا استفحل شر الفتنة بسبب إهمالها في بدايتها، وتعددت أسباب النزاع شئون الدين إلى شئون الدنيا، وكان خروجهم للقتال كما قال القاضي عياض لإعلاء دين، أو دفع ظالم، أو إعانة محق، وإنما كان للتباغي والتشاجر طمعاً في المال والملك، إذا كان ذلك فإن النبي -p - يرشد المسلمين إلى الوقوف من تلك الفتنة العمياء موقفاً حكيماً بحيث لا يزيد نيران الفتنة اشتعالاً لأن الطرفين المتحاربين إنما يحاربون للدنيا.

فقد أخرج الشيخان، وأبو داود عن أبي بكر أن رسول الله -p قال: ((أنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيراً من الجالس، والجالس فيها خيراً من القائم، والقائم خيراً من الماشي، والماشي خيراً من الساعي. قال : يارسول الله، فما تأمرني ؟ قال: من كانت له أبل فليالحق بابل، ومن كانت له غنم فليالحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليالحق

1 -سورة الأنفال، الآية 25.

2 -رواه الترمذي، وقال حديث حسن، رياض الصالحين، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص 103.

3 -سورة الحجرات، الآية 9-10.

بأرضه، ومن لم يكن له شيء فليعتمد إلى سيفه فليضرب بجمده على الحرة، ثم لينج ما استطاع النجاء))^[1].

ولغموض أمر هذه الفتن، وعدم التحقق من أهدافها صورها الرسول -p- من حديث الترمذي وابن ماجه بأنها [كقطع الليل المظلم] وبين أسبابها وعلاماتها من حديث الشيخين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- فقال: ((يتقلب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج . قيل يا رسول الله : ما الهرج ! قال : القتل القتل))^[2] قال الخطابي: تقارب الزمان يعني قصر العمر، وقلة البركة فيها. وقال البيضاوي: تسارع الدول إلى الانقضاء والقرون إلى الانقراض فيتقارب زمانهم وتتداني أيامهم. وقال ابن بطال: تقارب أحواله في أهله في قلة الدين، حتى لا يكون فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لغلبة الفسق وظهور أهله.³

سادساً: السلبية في مواجهة المنكرات: ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر في نظام الحكم الإسلامي بمثابة جهاز ضخم لمتابعة الدستور الشرعي، والإشراف على تطبيقه، وتصحيح سلوك الناس إزاءه، ونقول هنا: السلبية في مواجهة المنكرات على وجه الخصوص تستوجب اللعنة من الله، والطرده من رحاب رحمته وعنايته، فضلاً عن تدهور النظام الحضاري كله في كل دولة يقف الناس فيها موقفاً سلبياً في مواجهة المنكرات الملعنة.

وقد عرض الله تعالى على المسلمين صورة واقعية مما وقع لبني إسرائيل من اللعنة بسبب تلك السلبية فقال: ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَقُولُونَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ))^[4].

1 - البداية والنهاية، ابن كثير، ج6، ص210، ج7، ص94.
2 - رواه البخاري، ج9، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، ص61.
3 - عبد القادر اجمد عطا، هذا حلال وهذا حرام، القاهرة، دار الفضيلة، 1993م، ص295-298.
4 - سورة المائدة، الآية 78-80.

فهذه اللهجة الصارمة التي تنبض بالزجر والوعيد دلالة على مدى خطورة تلك السلبية على بناء الإيمان في القلب. وإذا أصيب الإيمان في القلوب بالعطب^[1] [فعلى الأمة العفاء^[2]]. ولهذا جاءت الأحاديث النبوية تفيض بالتحذير والوعيد هي الأخرى. فقد قال رسول الله -p- قال: ((أن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل. كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه بالغد فلا يمنعه ذلك ان يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: (عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ))^[3] ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق إطرا، أو تقصرنه على الحق قصرا))^[4] وضرب القلوب بعضها ببعض - وهو من آثار السلبية-معناه شيوع العداوة والبغضاء بدلا من المحبة والأخوة.

ومن آثارها كذلك نتيجة لفساد القلوب الا تستجاب دعوة الداعين من الأمة وقد قالت عائشة -ع- سمعت رسول الله -p- يقول: ((مروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم))^[5].

ومن آثار السلبية كذلك حلول العذاب بالأمة في دار الدنيا، ورفع البركة والذل من الأعداء، وضيق العيش، وانعدام الأمن، وما أشبه ذلك

وقد عظم رسول الله -p- شأن كلمة الحق إذا وجهت إلى سلطان جائر، فجعلها بمنزلة أفضل أنواع الجهاد فقال: ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر))^[6]. وقد حدد رسول الله -p- الخصال التي لايجدى معها نهى عن منكر، لأن المجتمع يكون حينئذ قد وصل إلى قمة الفساد والتعفف والضلال، فلم يبق سوى ان يسقط من قمة تطرفه

1 -العطب: الهلاك.

2 -العفاء: الزوال والهلاك.

3 -سورة المائد، الآية 78.

4 -رواه أبو داود والترمذي، رياض الصالحين، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص 104.

5 -رواه ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص 1327، حديث 4004.

6 - أخرجه ابن ماجة، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص 101.

المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي ————— د/ وفاء محمد عزت الشريف

إلى حضيض الذل والضياع، وقد حدث ذلك في صورة إجابة عن سؤال وجه للنبي -p- عن أنس سأله رجل فقال: يا رسول الله متي يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فقال: ((إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم قلنا: يارسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في أردالكم)) [1] قال زيد بن يحيي الخزاعي : يعني ان يكون العلم في الفساق، فالعالم الفاسق لا يتورع عن التقرب لأهل الفواحش من الكبراء، وإفتائهم بغير ما أنزل الله طمعاً في دنياهم، ومن هنا يصبح الأمر والنهي فاقد الجدوى، ولم يبق الا الردع لتلك الأمة التي ضاع الحق فيها.

سابعاً: الصنف الثالث: هناك صنف من الناس علماء يغارون على الدين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولكنهم يغفلون عن روح الشريعة الاجتماعية، أنك لتراهم يعنون بالصلاة والصيام وشعائر الدين دون غيرها من مقاصد الشريعة، وهم لا يهتمون بها على أنها مدرسة لتعليم الناس وتهذيب أخلاقهم واستقامة سيرتهم

كما يتحدث القرآن عنها: {تنهى عن الفحشاء والمنكر} [2] ولكن ما يعنون بها كما تقع من الناس اليوم -طقوساً باهتة لا تهذب خلقاً ولا تطهر روحاً - ومن أجل ذلك تراهم يرضون عن الرجل يصلي معهم في المساجد، ويسرع إلى إجابة النداء وهو آكل للربا، ظالم للناس معتد على أموالهم، مستغل لجهودهم. أنهم يرضون عنه كل الرضى إذ يرونه صائماً يعظم العلماء ... وهو سفاك هتاك للأعراض والحرمات. . كأن هذه الصلاة يريد بها الإسلام ستاراً للخداع والتضليل، أو كفارة عن الجرائم الاجتماعية الكبرى... أنهم يغفلون عن حديث يرددونه في حلقاتهم العلمية كثيراً، حديث ((تلك المرأة التي أخبر عنها رسول الله -p- أنها تقوم الليل وتصوم النهار ولكنها تؤذي جيرانها فقال -v- هي في النار)) [3] وينسون ما يرددون في خطبهم ومجالسهم من ((أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)) [4].

1 - رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، ج2، حديث 14015، ص 1331.

2 - سورة العنكبوت، الآية 45.

3 - رواه أحمد والحاكم.

4 - رواه البخاري وغيره في البداية والنهاية، ابن كثير، ج2، ص 141.

ومن العجيب أن غيرتهم على الدين تحملهم على إنكار المنكرات الفردية التي تقع من بعض الناس، فينكرون على من يلبس الخاتم من الذهب وهو حرام في الشريعة الإسلامية، ولا ينكرون على الحاكم الذي يرتشي، والغني الذي لا يزكي، والنائب الذي لا يبالي بكرامة الشعب وصيانة حقوقه، ولو سألتهم وهو العلماء بالشريعة: أيهم أعظم أثماً عند الله من يرتكب معصية التختم بالذهب ؟ أم معصية الذي يأكل الحقوق ويخون الشعب، ويظلم عماله وفلاحيه؟ لما حاروا جواباً ولما وجدوا بدءاً من الاعتراف بأنى الآثام الاجتماعية التي تتعلق بحقوق الشعب أكبر جريمة عند الله من الآثام الفردية التي لا تؤدي إلا صاحبها.

وهؤلاء مع اهتمامهم بالحقير الصغير، وغفلتهم عن العظيم الخطير من شؤون الأمة، جامدون في فهم نصوص الشريعة؟ يستمدون أحكامها من كتب المتأخرين على أنها شريعة أنزلها الله لا يجوز البحث فيها أو العدول عنها، ولو تغيرت العرف وتبدلت المصلحة. وأصبحت دنيا الناس اليوم غير دنياهم بالأمس!

وإذا طلبت إليهم أن يعملوا عقولهم وفقهم في نصوص المتأخرين على ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها العامة ولو أنك وجوههم وهم يصرخون! أنت رجل تريدنا على أن نجتهد ؟ لقد أغلق باب الاجتهاد ! وما نحن بالذين نريدهم على أن يكونوا مجتهدين كأبي حنيفة والشافعي، ولكننا نريدهم فقهاء بشريعة الإسلام فاهمين لمقاصدها لا حفاظاً للفروع الفقهية من غير نظر وتسديد.

نريدهم أن يعيشوا في زمنهم لا في زمن الماضيين، وأن يفهموا عادات قومهم وبلادهم لا عادات الغابرين الأقدمين. وهم يعلمون قبل غيرهم أن الأحكام المبنية على عرف تتغير إذا تغير العرف، وأن كثيراً من أحكام الفقه نصوص اجتهادية استنبطها الفقهاء على ضوء الأعراف والعادات القائمة، وهم كانوا يعلمونها في حلقات دروسهم (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان) وإن كثيراً من وجوه الخلاف بين الإمام أبي حنيفة وصاحبيه مثلاً خلاف عرف وعادة لا خلاف نص ودليل. فإذا كان هذا بين الإمام وصاحبيه وهم في عصر واحد، فكيف لا يكون ذلك بيننا وبين الفقهاء الذين باعدهم الزمن عنا مئات السنين!!

وأشد هؤلاء غفلة وأقتلهم جموداً من يحرصون على السنن والمندوبات ولا يبالون بالفرائض والمحرمات ، أن عصرنا الذي نعيش فيه عصر حركة وعمل وتطور عجيب سريع، فلا يتحمل منا هذه البلادة المتزمته ولا هذه الروحانية السلبية، لن يتحمل الشباب هذا الجو مهما استجابوا له أول الأمر، ولا بد من أن يغلبهم الزمن ويجرفهم التيار، فإذا لم نهئهم له كانت النكسة شديدة، والردة قاسية مؤذية.. وقد شاهدنا هذا فيما رأيناه من بعض الشباب الذين انجرفوا في تيار الروحانية المتبدلة السلبية فإذا هم من أفجر الشباب وأشدهم كرهاً لتعاليم الإسلام وأدبه الراقي الكريم! [1]

الفصل الرابع: (كيفية تغيير المنكر)

أولاً: ١ لمسؤولية: ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع، فيجب ان نكون قدوة صالحة للأبناء بأقوالنا وأفعالنا، ويجب ان نكون مثلاً أعلى في أخلاقنا وفي أعمالنا وفي مظهرنا، يجب أن نتحلى بالفضائل والمحاسن وأن نتخلى عن المساوئ والردائل، يجب ان نتجنب كل ما يقدح في الدين أو يخل بالمروءة فإن الله تعالى أباح لنا الطبيبات النافعة وحرّم علينا الخبائث الضارة لأجسامنا وصحتنا وعقولنا، يجب ان نحافظ على شعائر ديننا عموماً وعلى الصلوات الخمس في أوقاتها خصوصاً لأنها عماد الدين الذي يقوم عليه، وان نصلح أنفسنا ونلزمها التقوى والاستقامة لنفوز برضاء الله وجنته ونسلم من عذابه وسخطه ولنقود أولادنا إلى الطريق السوي والعمل الصالح.

فكل مسلم هو رجل دين يجب ان يتخلق به، ويدعو إليه حيث أنه مخلوق لهذا الدين وعنه يسأل وعليه يجازى وقد أكمله الله لعباده ورضيه منهم ولن يقبل من أحد ديناً سواه قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ([2].

متى كانت التربية حسنة جارية على السنن المستقيمة والآداب الشرعية والتعليم النافع حسب أوامر الدين وتعاليمه أمراً ونهياً، فإن تعلم الولد في صغره عبارة عن تغذية

1 - د. مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، ص 202-205.

2 -سورة آل عمران، الآية 85.

روحه بما تنهذب به أخلاقه وتركوا به أعماله وتحسن مقاصده، بحيث يكون ميله إلى كل خير ومحبته له ونفرتة عن كل شر وبغضه له ملكة ثابتة في نفسه.

ان تربية الأولاد وتعليمهم لأمر عظيم له شأنه الأكبر وخطره الجسيم في حياتنا الدينية والاجتماعية والخلقية فهم قوى المجتمع الأكبر ودعائمه التي تقوم عليها وعليهم يتوقف رقي الأمة وسموها وتقدمها. وان أهم شيء هو تقديم دينهم وأخلاقهم وحسن تربيتهم وتمكين الدين في نفوسهم وتنشئتهم على الفضيلة.¹

ثانياً:كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته: فليكن شعارك قوله تعالى ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))^[2] خاصة وإن الله سبحانه وتعالى قد أتاح لنا هذه الفرصة وجعل تحت رعايتكم ومسئوليتكم من يستمع إليكم ويتأثر بكم من هذه البراعم وهؤلاء الشباب فلا تتركوا هذه الفرصة يمر دون حسن استغلالها ولا تتركوا هؤلاء الشباب للضياع فريسة منهم أبناؤكم وإخوانكم وعليكم إنقاذهم من الدعوات الفاسدة والاتجاهات المادية والمنحرفة التي يتعرضون إليها، فإذا فرطتم في هذه الأمانة فستسألون عنها أمام الله عز وجل يوم القيامة ((كلكم راع وكلكم مسئولون عن رعيته))^[3]، وإذا رأيتم ما عليكم منها فلکم من الله خير الجزاء على وفائكم بواجبكم قال تعالى : ((الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ))^[4]^[5].

ثالثاً:بين النصيحة والتشهير : ليس منا من لا يخطأ ولا ينحرف عن سنن الحق، بل أن فينا من الغرائز والطبائع ما يميل بنا إلى الرشد والغي، والخير والشر، وليس كل يعرف خطاه أو يهتدي إليه، وبذلك كان من حق الأخ على أخيه أن يبصره وينصح له في أمره. وكما يجب من رأى الظلم في حاكم ومسئول أن ينكر عليه ظلمة وبغية ووجوب

1 - د. أبو بكر أحمد السيد، رسالة إلى المدرسين والمدرسات، الكويت، جمعية دار البر، 1407هـ، ص 49-54.

2 -سورة فصلت، الآية 33.

3 -رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قو أنفسكم وأهلكم ناراً، ج7، ص34،

4 -سورة الحج، الآية 41.

5 - د. أبو بكر أحمد السيد، رسالة إلى المدرسين والمدرسات، ص 12-13.

على من رأى صديقاً له يظلم نفسه أو يظلم غيره أن يحول بينه وبين ذلك، إبقاء على حق الاخوة ودفعاً للأذى عن صديقة وعن المجتمع...

ويوم يتساهل الناس في هذا الحق، فيتملق الصديق صديقه، ويهمل الأخ حق أخيه عليه في النصيح والإرشاد تسود علائق بعضهم ببعض... وتتقلب الصداقة إلى عداوة، ويصبح أمر المجتمع فوضى يموج بالشر والإثم، ولقد أخبر القرآن الكريم ان بني إسرائيل استحقوا اللعن والحرمان والتشريد لأنهم كانوا لا يتناصحون قال الله تعالى: ((لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ))[1].

وليس أدل على رقي الأمة واستقامة ضمائرها من تمسكها بخلق التناصح فيما بينها، ينصح الأخ لأخيه والجار لجاره، والأب لولده، والأستاذ لتلميذه، والموظف لرئيسه والمسئول لأتمته... فلا ترى حينئذ الا حقاً محترماً وفضيلة يعمل بها، وثقة تربط بين الناس بعضهم مع بعض، فلا خيانة ولا غش ولا إتهام ولا تجريح. وإذا خلا المجتمع من هذا الخلق، أو ضعف مظهر العمل به، فقد انتهت الأمة إلى أسوأ حالاتها من الفوضى والفساد والتقاطع والعدوان.

وقد اضطربت عند كثير من الناس حدود النصيحة التي يجب القيام بها، فانقلب أحدهم من النصيح إلى التشهير، كما انقلب آخرون من المدارة إلى التملق، وفي ذلك ما فيه من شر يربو على الخير وحق يستعمل في باطل.

حين لا تجدي النصيحة أو ينشأ عنها ما هو أكبر ضرراً وأكثر سوءاً يتحتم عليك أن تدأوى من تنصحته حتى يستقيم حاله، وتواتي الظروف الصالحة لنفسه ووعظه، وهذا هو حد المدارة... أما أن تتقلب إلى مشجع على الشر متظاهر لمن يعمل به بالتأييد، فهذا هو التملق الذي يميته الخلق الكريم وتأباه آداب الشريعة وأخلاقها. . هناك فريق بين أن تأتي لحاكم ظالم مستخف بإرادة الأمة وكرامتها. . فتزين له طغيانه وتغريه بالاستمرار في عتوه وفجوره، وبين أن تسكت عنه وهو في عنفوان قوته، وأنت يأس من صلاحه،

عسى أن تأتيك الفرصة فيما بعد لتجهر له بالنصيحة، وتدل على طريق الخير . . ذلك تملق . . وهذه مدارة . . والتملق خسة وجبن . . والمدارة تعقل وحكمة.

والنصيحة على مراتب:

أولها: ان لا تبادر إلى تصديق ما يقال عن جارك أو صديقك أو أحد من الناس بل تثبت في ذلك حتى تستيقنه، فإن الناس اعتادوا إشاعة السوء والجماهير دائماً أسرع إلى إساءة الظن من إحسانه ظن فلا تصدق كل ما يقال لك ولو سمعته من ألف فم، حتى تسمعه ممن شاهده بعينه، ولا تصدق من شاهد الأمر بعينه حتى تتأكد من تثبته فيما شاهده ولا تصدق من تثبت فيما يشاهد حتى تتأكد من براءته وخلوه من الغرض والهوى. ولذلك نهانا الله عن الظن واعتبره إثماً لا يغني عن الحق شيئاً فقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ))^[1] وقوله أيضاً :: (أن الظن لا يغني من الحق شيئاً))^[2] وإذا رأيت امرأً أو بلغك عن صديقك كلام يحتمل وجهين فاحمله محملاً حسناً وأنزله منزلة الخير، فذلك ألصق بالأخوة وأجدر بمكارم الأخلاق.

وثاني خطوات النصيحة: أن تقدر طباع الناس وغرائزهم، أنهم ليسوا ملائكة ولا أنبياء .. فلا تطمع أن تعثر على زلة أو هفوة لأحد من إخوانك، ولكن أحمل ذلك على الضعف الإنساني الذي يكاد لا يخلو منه أحد وعلى الغرائز التي لا ينجو من سلطانها الا الأقلون. وأنظر أنت في نفسك الا تقع في مثل تلك الزلات ؟ فلماذا تريد من الناس ما لا تريده في نفسك. وما يقول على لسان امرأة العزيز: ((وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ))^[3] فإذا ذكرت ذلك كنت إزاء خطأ من صاحبك تذكره بالصواب فيه، لا إزاء عيب تزدريه من أجله، وتنتقصه بسبيله. قال الشافعي -رحمه الله- : (ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه، ولا أحد يعصي الله ولا يطيعه. فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل) هذا والله هو الفقه والعلم والحكمة التي لا يقف عليها الا أطباء النفوس .. وأكمل الناس وأورعهم وأقواهم ديناً وأكثرهم لله خشية. ليس

1 -سورة الحجرات، الآية 12.

2 -سورة يونس، الآية 36.

3 -سورة يوسف، الآية 53.

هو الذي يزدري العصاة. ويحتقر المذنبين، ويرى لنفسه ميزة عليهم بتقواه وعبادته... وإنما هو من يرحم الناس ويشفق على الخاطئين ويعذرهم في نفسه ويتقدم إليهم بالنصح كطبيب يعالج مريضاً، وهل رأيت طبيباً يحتقر مريضاً أو يزدريه أو يترفع عليه - p - معلم الناس الخير حين قال: ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم))^[1].

وثالث خطوات النصيحة: أن لا تحاكم الأمر الذي تريد إنكاره وتحكم عليه بالخطأ والانحراف، من وجهة نظرك فحسب، بل أنظر إليه من وجهة نظر صاحبة أيضاً. فقد يكون مجتهداً فيما أعتقد من رأي، متحرياً الخير فيما سلك من سبيل، فلا تسارع إلى الإنكار عليه، ما دام من الممكن أن يكون له وجه من الحق، ودليل من الرأي... ومن قبيل هذا ما يقوله الفقهاء من أن العمل أو الرأي إذا كان له تسعة وتسعون وجهاً تقتضي التكفير. ووجه واحد لا يقتضي التكفير.. نأخذ بهذا الوجه الواحد. وتمتّع عن تكفير صاحبه ومن هنا قرر العلماء أن شروط النهي عن المنكر. أن لا يكون محل اجتهاد وخلاف بين العلماء.

أو أن يكون منكراً في نظر من يفعله.. فإن لم يتحقق فيه هذا الشرط، لم يجز الإنكار وما ذلك إلا لأن إنسان ما ليس من حقه أن يسيطر على عقيدة إنسان أو رأيه أو يزعم أن رأيه أصوب الآراء واجتهاده هو الحق الذي لا باطل معه.

ورابع خطوات النصيحة: إنك إذا تأكدت من الخطأ والانحراف، وليس هناك مجال للعذر أو شبهة وجب أن تتقدم بالنصيحة إلى من تنصحه سراً بينك وبينه، لا أمام الناس، ولا على ملأ من الأشهاد، فإن النفس الإنسانية، لا تقبل أن يطلع أحد على عيبها، إنك إذا نصحت أخاك سراً بينك وبينه كان أرجى للقبول. وأدل على الإخلاص، وأبعد عن الشبهة، وإلا ما إذا نصحته علناً فإن في ذلك شبهة القصد والتشهير وإظهار الفضل والعلم. وهذه حجب تمنع من استمتاع النصيحة والاستفادة منها، ولقد كان من أدب رسول الله -p- في إنكار المنكر أنه إذا بلغه عن جماعة ما ينكر فعله لم يذكر أسماءهم علناً وإنما كان يقول: ((ما بال أقوام يفعلون كذا)) فيفهم من يعنيه الأمر، أنه

1 - رواه الترمذي، قال حديث حسن، باب تعظيم حرمة المسلمين وبيان حقوقهم، ص121.

هو المراد بهذه النصيحة. . وهذا من أرفع أساليب النصح والتربية يدلنا على المربي الأكبر محمد-p-.

أما الذين يشهرون بعيوب الناس ويهتكون حرمااتهم في المجالس، بحجة النصح والجهر بالحق، فذلك جهل بدين الله شائن.. وتلك هي الغيبة التي نهانا عنها الله ورسوله.. وليست الغيبة الا ان تذكره بما يكره وهو عنك غائب.

نعم إذا نصحت إنسان مرة بعد مرة ،واستمر في إثمه ومخازيه، وكان ممن يؤتم به أو يستمع لقوله جاز لك ان تذكر الناس ما هو عليه للتحذير من أتباعه، لا للتشهير به شخصياً. فإن التشهير لا يجوز في حالة ما. مهما كان الباعث على ذلك ان لك ان تتكرر الفعل لا ان تشهر بالفاعل. وقد علمنا الله ذلك حين قال لرسوله p- {فإن عصوك فقل أني برئ مما تعملون }^[1] ان يتبرأ من عملهم لا منهم أنفسهم، وليس هو الا لكرهه التشهير بالناس، تشهيرا يؤدي إلى العداوة والبغضاء، ويزيد من الفرقة والشحناء. وخامس خطوات النصيحة: أن لا تؤدي النصيحة إلى شر أكبر مما تريد إنكاره كإيقاع الفتنة، وإيغار الصدور وازدياد المعصية، وتفرقة الكلمة الجماعة، فإن هذه أمور يلحق شرها الكبير والصغير والصالح والطالح.. ولا يجوز لإنكار عمل فردي ان تقع في منكر يعم ضرره المجتمع، قال رسول الله p- لعائشة: ((لولا ان قومك حديثو العهد بالإسلام لبنيت الكعبة على قواعد إسماعيل ولجعلت لها بابين باباً يدخل منه الناس وباباً منه يخرجون))^[2]

فهذا امتناع عن إصلاح في وضع البيت، خشية أن يؤدي إلى فتنة الناس في دينهم، وهذا هو الفقه في دين الله، أن لا تزيل الشر بما هو شر منه، وان لا تدفع الضرر الأدنى بالأعلى، وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

فإذا استوت لك هذه الخطوات ورأيت النصيحة واجبة كان عليك أن تؤديها برفق وحكمة وأسلوب لا ينفر من تصححه، ولا يبدر إنك متعال عليه، معلم له إلى هذه الآداب أرشدنا الله سبحانه وتعالى بقوله: ((اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ))^[3].

1 -سورة الشعراء، الآية 216.

2 - رواه البخاري ومسلم، في البداية والنهاية لأبن كثير، ج1، ص165.

3 -سورة النحل، الآية 125.

ولقد قالوا في وصف رسول الله -p- : إنه ما كان يواجه أحداً بشئ يكرهه، ذلك أن النصيحة إذا خرجت عن الرفق واللين كانت غلظة وقسوة تنفر القلوب ولا تفتحها. وتبعد الناس عن الخير ولا تقربهم إليه.

رابعاً: بين الحرية والفضى: الصراع بين الحرية والعبودية صراع قديم في تاريخ الإنسانية، بل هو يكاد يكون أول صراع على وجه الأرض عرفه تاريخ الإنسان، فمن أجل الحرية خاضت الشعوب معارك لا عداد لها وفي سبيل الحرية تدفع الشعوب طائفة راضية أكرم شهدائها وأنفس أموالها، وأجمل مدنها وبيوتها وفي سبيل الحرية تعرضت كثير من الأمم للشقاء أحياناً وأجبالاً، ويكاد يكون تاريخ الإنسانية سلسلة من المآسي والحروب كلها تبدأ من الكفاح في سبيل الحرية..

هذه الحرية.. هي الحرية السياسية التي ما تزال كثير من الشعوب تناضل من أجلها، ووراء هذه الحرية حريات كثيرة تسعى الأمم الواعية وراءها، هي حرية الفكر والعلم وحرية الرزق والعمل، وحرية الحكم والإدارة.. فتأسيس المدارس والمعاهد معركة ضد الجهل والخرافة، وإنشاء الميائم والمشافي والملاجئ معركة ضد المرض والتشرد، وقوانين التكافل الاجتماعي معركة ضد الفقر والبؤس والمهانة، ومجالس الشورى والبرلمان معركة ضد الاستبداد والدكتاتورية.. وهكذا تتسع ميادين الحرية حتى تشمل ما يوفر الكرامة لكل مواطن في بلده، ولكل إنسان في مجتمعه، والوقوف في وجه هذه الحريات كلها.. جرائم تنكرها الأديان والشرائع.. فمن سلب الأمة وحريتها في التفكير - ومواردها في الرزق - وحققها في الحكم.. وكان خارجاً على أمن المجتمع وسلامته، ويجب أن يكافح بكل وسائل القوة حتى يفى إلى أمر الله قال الله تعالى: ((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا سَوَّلَهُمْ فِي الْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) [1]. تلك هي آفاق الحرية.. قررتها شرائعنا منذ القديم، وحملت لواءها أمتنا مئات من السنين، وأعلنتها حضارة القرن العشرين مبادئ ونظريات وان حاربتها في بلادنا حكماً واستعماراً.

المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي ————— د/ وفاء محمد عزت الشريف

والحرية ككل معنى كريم، عرضة للتلاعب والتحريف والاستغلال فمبادئ الحرية عند الغربيين هي شرك جميل لاصطيادنا نحن الضعفاء من شعوب الشرق، حتى لنسخر كالعبيد في حروب دامية مدمرة لا غاية من وراءها، إلا حراسة مطامع أولئك الأقوياء واستنقاء سيطرتهم على موارد الثروة وحقيقة السيادة في أمتنا وبلادنا.

أن الحرية عند الفرنسيين هي إذلال المغاربة العرب المسلمين وإرهاقهم وإزهاق أرواحهم واستلاب ثرواتهم، والحرية عند الإنجليز هي الاحتلال في وادي النيل، والعدوان في واحة البريمي والاستغلال في عدن والإمارات العربية في الخليج الفارسي.. والحرية عند الأمريكان هي تشريد الشعب الفلسطيني وإمداد إسرائيل بالسلاح والمال لتستمر في الأذى والعدوان وهي سرقة بترول إيران وذهب جزيرة العرب وهي القضاء على صناعة اليابان، وثورة شعوب جنوب آسيا ضد العبودية والاستعمار.

والحرية الشخصية عند آخرين هي أن تعمل ما تشاء وترتكب من المنكرات ما تريد، دون أن تحد من تصرفاتك آداب المجتمع، أو قوانين الدولة، أو تعاليم الدين.. وهذه مفاهيم خاطئة للحرية، نشأ عنها ما نراه في مجتمعنا من فوضى وفساد واضطراب في حياتنا السياسية والأخلاقية والاجتماعية، وهي تزوير باطل لأنبل مبدأ من مبادئ الحياة الإنسانية. . وتصوير غير صحيح لمفهوم الحرية الفكرية والدينية حتى عند الغربيين.

هكذا يفهم العقلاء والعلماء الحرية في بلاد ذهب في تقرير الحرية الشخصية إلى منتهاها. . فما بالك ببلاد كبلادنا لا يزال للشعور الدين سلطان على الجماهير.. ولا تزال للآداب الدينية وللأخلاق الفاضلة حرمة في المجتمعات العامة؟ أن أحداً لا يستطيع أن يزعم أنه حر في كل شيء، وأنه يتصرف كما يشاء. . ويفعل ما يشاء.. وأن من معاني الحرية التي يجب أن تتوافر لكل مواطن. . وإلا لبطل معنى القانون.. وذهبت حرمة التشريع وأصبح الناس حيوانات تصطرع في سبيل أهوائها وشهواتها.

أننا لا نجد مجتمعنا في الدنيا، يبيح لأي إنسان أن يأخذ مال إنسان آخر كما يشاء، أو أن يخرج إلى الطريق عريانا كما يريد، أو أن يسير في الطريق كما يجب. .

فمعاملاتك يجب أن تكون ضمن قوانين الدولة وأنظمتها، ولباسك يجب أن يكون وفق الآداب العامة، وسيرك يجب أن يكون وفق أنظمة السير، وإلا نالك القانون بعقوبته. . أتري أحدا يزعم أن من الحرية التجارية أن يتاجر الإنسان مع العدو؟ وأن من الحرية الفكرية أن يدعو إلى تغيير نظام الدولة بالقوة والعنف؟ وأن من الحرية الصحفية أن يشتم رئيس الدولة

وان من الحرية الشخصية أن يعرقل السير في الطريق العام بأن يضع أمتعته أو سيارته أو يأكل أو يتحلق مع آخر ينوي قلب الطريق. يجب ان نفرق بين الحرية والفوضى، فالحرية استعمال حقل بحيث لا يطغى على حق الآخرين، والفوضى هي طغيان حقل على حق الآخرين، ولضمان الحرية تشرع القوانين والأنظمة، وتنزل الشرائع والديانات وكل خروج عليها عدوان على الحرية المنظمة، وفتح باب للفوضى التي تطغى على الحريات والحقوق..

وقد ضرب لنا رسول الله -p- مثلاً من أروع الأمثلة، يبين الحد الفاصل بين الحرية والفوضى بقوم كانوا في سفينة وكان بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها، وكان الذين في أسفلها يأخذون الماء ممن فوقهم فقالوا : لماذا لا نخرق في مكاننا خرقةً نأخذ منه الماء من البحر رأساً؟ يقول الرسول -v- ((فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وأن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً))^[1] فهؤلاء أرادوا أن يستعملوا حريتهم فيما يخصهم. . ولكنهم يجب أن يمنعوا من استعمالها إبقاء على السفينة وما فيها.

أفلا نرى في هذا المثل الرائع، ما ينبغي أن يكون عليه موقف الجماعة ممن يسبؤون استعمال حرياتهم الشخصية، بما يؤذي الشعب ويضر الوطن، ويفسد الأمر على الناس جميعاً، ان القوانين لا تتدخل في حريتك الشخصية في بيتك أو في كل مكان محصور لا تطلع عليه الأعين، ولكنها تتدخل فتتمتع القمار في الأندية، وتعاقب المقامرین إذا اجتمعوا سرّاً ولو كانوا بحيث لا تراهم العيون، كما تمنع بيوت البغاء السري ولو كانت الفاحشة تفعل بحيث لا يراها الناس.. وكذلك تحكم شرائع الله. فأنت بينك وبين نفسك

1 - رواه البخاري ومسلم وغيرهما، كتاب رياض الصالحين، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص 101.

المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي ————— د/ وفاء محمد عزت الشريف

لا تتدخل الشريعة في عقوبتك على ما تفعل من مخالفة لأمر الله. إنما تؤخر عقابك إلى يوم الدين. . ولكنك حين تجاهر بالمعصية على ملام من الناس تعاقبك الشريعة على ذلك في الدنيا قبل الآخرة

أما بعد فإننا لا نجد فرقا بين العدوان على أموال الناس وحقوقهم، وبين العدوان على عقائدهم وآدابهم بل أن هذا العدوان أشد ضرراً وأسى نتيجة. . فالإنسان قد يتساهل في ماله وحقه، ولكنه لا يتساهل في عقيدته وأدبه وذوقه.. فهل لهؤلاء الذين يؤمنون بالحرية الشخصية ويدعون إليها من غير قيد ولا نظام أن يشعروا بحق المجتمع عليهم وبحق إخوانهم المواطنين عليهم، فلا يؤذوهم في عقائدهم أو آدابهم أو أدواقهم أو شعورهم أو كرامتهم ؟ وهل لهم أن يصونوا الحرية الفكرية من أن تتقلب إلى تسميم العقول والأفكار، والحرية الدينية من أن تتقلب إلى إيذاء القلوب والضمائر، والحرية الصحفية من أن تتقلب إلى نهش الأعراض واستباحة الحرمات، والحرية الشخصية من أن تتقلب إلى إشاعة الفوضى والإباحية؟. .

ان مجتمعنا الحاضر بحاجة إلى من يضبط له أمره ويصون له أخلاقه ويرده إلى حظيرة الحق، ويلزمه حدود الشرائع والقوانين، وأن ذلك كله أمانة في أعناق العلماء والمفكرين والمصلحين والخطباء والكتاب والصحفيين. . فإن العبء ثقیل والأمانة جسيمة والحساب بين يدي الله عسير قال الله تعالى: ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [1]

خامساً: مراتب تغيير المنكر: وقد كان من أصول هذه المسؤولية - مسئولية السكوت عن مكافحة المنكر مع القدرة عليها - ما أرشد إليه الرسول الكريم في واجب المسلم حينما يرى المعروف ويترك المنكر يرتكب: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) [2] وبذلك قيست درجات الإيمان بمراتب القدرة على كفاح المنكر، وكان كفاحه على درجات متفاوتة، فهو

1 - سورة آل عمران، الآية 104.

2 - رواه مسلم، في كتاب رياض الصالحين، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص99.

المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي ————— د/ وفاء محمد عزت الشريف

على صاحب السلطان أقوى وأوجب لأن الله قد وضع في يد سلطان التأديب ووسائل الزجر بما شرع من عقوبات، وبما فوض إليه من تقديرات :

المرتبة الأولى التغيير باليد: وهي المرتبة الأولى من مراتب التغيير، وأبرز أهلها الحكام المهيمنون فهم وحدهم القادرون على التغيير العملي العام، ثم يلحق بهم رب الأسرة فيمن يلي من الأبناء والأهل في حدوده المرسومة له بمقتضى القوانين والشرائع، وكذلك المربون وسائر الرؤساء الذين ملكهم القانون شيئاً من صور التغيير العملي، فالوالد مسئول عن ولده، والزوج مسئول عن زوجته، والمربي مسئول عن وكلت إليه تربيتهم، والرئيس مسئول عن مرؤسيه، وسيحمل الجميع أمام الله ذنوب من يسألون عنهم قال تعالى : ((لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ)) [1]

" وليس الإضلال خاصاً بالإيقاع في الضلال، وإنما هو بعمومة يتناول عدم الوقوف أمام الضال في طريق ضلاله، ولو أنك رأيت أعمى اعترضه بئر في طريقه - ولو ترك لتزدى فيها- وكنت قادراً على رده عنها ثم تركته حتى تردى وهلك لكنك مسئولاً عنه بحكم القوانين والشرائع، وما ترك المذنب يتوغل في ذنوبه حتى تقضي عليه بأقل شأناً من ترك الظمان فقتله شدة الظمأ، وفي يد أخيه الإنسان ماء يطفئ به عليه، ويقتل ظمأه ويرده إلى حياته، وقد غرم عمر بن الخطاب-ع- مثل هذا الإنسان دية الظمان حين مات بظمئه ولم يقدم له أخوه الماء [2].

المرتبة الثانية: الإنكار بالقول : أما المرتبة الثانية من مراتب التغيير فهي مرتبة الوعظ الحسن النافذ للقلوب المؤثر في النفوس، مرتبة التغيير بالقول ببيان آثار المنكر في حياة الشخص، وفي صحته وفي كرامته ومكانته، وفي رضى الله والمجتمع عنه، تلك مرتبة تتطلب الكثير من الحكمة حتى تقع في دائرة قوله تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)) [3] كما تتطلب أن يكون المغير للمنكر ذا عناية خاصة

1-سورة النحل، الآية 25.

2 -محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص198-199.

3 -سورة النحل، الآية 25.

المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي ————— د/ وفاء محمد عزت الشريف

بنفسه تجعل منه لقومه قدوة حسنة ينقادون له ويطيعونه في دعوته ووعظه، وما فشل توجيهنا وتدهورت دعوتنا الا حينما جعلناها مهنة وحرفة نؤديها بحكم التكليف وبحكم أنها وسيلة من وسائل العيش. هذا الوضع الذي صار إليه توجيهنا جعلنا نقف فيه عند رسوم وصور لا قدرة لها على التغلغل في القلوب، جعلنا نقف فيه عند طوائف معينة ليس لها من الجاه ما نطمع فيه أو في أي شئ منه.

وأبرز أهل هذه المرتبة رجال الدين، ورجال التربية، والإذاعة والصحافة والنشر وهؤلاء جميعهم مسئولون أمام الله وأمام المجتمع عن موقفهم من المنكرات وكلهم أرباب تغيير بالقول، فعليهم إذا أرادوا ان يكونوا أداة توجيه للأمة ان يتحلوا بالحكمة ووسائل التوجيه القيمة التي لا يكون لها أثرها الطيب في طهر المجتمع من المنكرات المزرية التي لا تخفى عليهم والتي ينوء بحملها كاهل المجتمع، والتي تخشى أن يقترب بها من الهوة التي تبعد بها عن معاني الحياة الفاضلة.

المرتبة الثالثة الإنكار بالقلب : أما من تعجز عن التغيير بالفعل والقول فليس شأنه أمام المنكرات شأنًا سلبيًا، يغمض عينيه ويسد سمعه أو يحول في بيته أو مكتبه كما يزعم كثير من الضعفاء المتواكلين، الذين يفهمون قوله -p- في هذه المرتبة ((ومن لم يستطع فقبله)) على أن المقصود منها خصوص الإنكار السلبي لا يصدق عليه تغيير، وقد سبق نوعاً من التغيير كما وهو واضح من عبارة الحديث وهو في واقعة من مقتضى أصل الإيمان، وأن من لم ينكر المعصية بقلبه لا يكون مؤمناً بأنها معصية، وإنما سبيل الإنكار بالقلب قطع الصلات التي تربط المؤمن بهذا المرتكب فلا يجالس ولا يعامل ولا يؤاكل ولا يعان ولا تقضى له حوائج وملاك ذلك كله أن يقاطع مقاطعة تامة يشعر فيها بعزلته، وأن المجتمع قد لفظه.

ولما كان هذا التغيير لا ينتفع به الا خاصة المرتكب، وليس له أثر بارز يعم الناس جميعاً : يروونه بأعينهم، ويسمعونه بأذانهم كان أدنى المراتب، وكان ((من أضعف الإيمان)).

سادساً: تكوين رأي عام فاضل: في سبيل تهذيب الآحاد، أوجب أن يكون هناك رأي عام مهذب، يحث على الخير وينهى عن الشر، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإن الرأي العام له رقابة نفسية تجعل كل شرير ينطوي على نفسه فلا يظهر، وكل خير يجد الشجاعة في إعلان خيره فلا يذهب الآحاد إلى الرأي العام، ولا يفسد الجماعة إلا الرأي العام الذي يتقاعد عن العزة والفضيلة ويترك الرذيلة تسير رافعة رأسها.

ولذلك حث الإسلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأوجب الإرشاد العام ليمتنع القتال عن شروعه، بإرشاد الفاضل وهدايته وتكون الجماعة في فضيلة ظاهرة، ولقد اعتبر القرآن الكريم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عنوان الأمة الفاضلة، فقال تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) [1].

واعتبر الجماعة كلها تكون أثمه إذا سكنت على الإثم وهو يسير رافعاً رأسه ولذلك اعتبر الله سبحانه وتعالى بنى إسرائيل إذا تركوا الأمر بالمعروف آمين فقال تعالى: ((لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)) [2].

سابعاً: أمل ورجاء: وبعد فهذه مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نظر الإسلام الحريص على حياة أهله، وهذه مراتب التغيير التي جعلها الرسول وسيلة لتطهير المجتمع من المنكرات، فهل لنا أن نطمع في أن يعرف الدعاة واجبهم؟ وأن يعرف كل مسئول مرتبته التي يقدر عليها في التغيير؟ وأن يقوموا جميعاً بتعبئة شاملة ليظهروا المجتمع ويذودوا عنه عوامل الشر والفناء؟ نرجو ذلك، ونرجو أن يكون قريباً والله ولي التوفيق.

1- سورة آل عمران، الآية 110.

2- سورة المائدة، الآية 78-79.

الخلاصة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى.

أما بعد فقد قدمت في هذا البحث شيئاً عن المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي، وأنها سبباً لضعف الأمة وتفرقها، وكيف حذرنا الإسلام من الوقوع فيها وعدم التهاون بأبسط شيء منها، فعلى المسلم أن يعرف هذه المنكرات خوف الوقوع بها دون العلن أنها من المنكرات لجهله لأنها كثيرة ومتعددة.

بعد ما جمعت وقرأت في موضوعي هذا وكتبت ما كتبت الا القليل من هذه المنكرات الشائعة والكثيرة في مجتمعنا، ولو أردت أن أكتبها كلها لاحتجت إلى أكثر من ذلك، ولكني كتبت عن بعض هذه المنكرات وأثرها في المجتمع علني أكون قد أخذت بما هو شائع ومنتشر بين أظهرنا وفي عصرنا الحالي الذي يكاد يطفئ بالمنكرات التي أصبحت في بعض الأحيان وكأنها شيء عادي، وخاصة للذين هم بعيدين عن الله ورسوله، حتى أنهم يستنكرون علينا ان نصحناهم بالابتعاد عن هذه المنكرات.

وإنني لأجد أن هذه المنكرات وتقشيتها في المجتمع هي سبب ضعف الأمة الإسلامية، لأنها انتشرت وتفشيت وسعت الصهيونية على تقشيتها بين المسلمين، غايتهم في ذلك تفريق وحدة المسلمين وإضعاف قوتهم وسلبهم الأمن، فإلى متى نكون أمة متفرقة لا يلوى بعضها على بعض ولا يهم بعضها ببعض، فإن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

فيجب علينا ان ننظر إلى الأحداث والمصائب نظرة شرعية مقرونة بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ونبتعد عن النظرة المادية التي تؤدي بالأمة الإسلامية، لأن النظرة الشرعية تؤدي بالنصر على الأمم الكافرة فيحدث فيها الدمار العظيم الشامل في لحظة واحدة ما لا تحدثه قوى هذه الأمم.

فأسأل الله تعالى أن يقينا شر أنفسنا وشر الوقوع فيها حتى نتألف في دين الله عز وجل ونتكاتف على إقامة شريعة الله، وأن ينصح بعضنا بعضا بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نجادل من يحتاج إلى المجادلة بالتتي هي أحسن في الأسلوب والإقناع

المنكرات وأثرها في المجتمع الإسلامي ————— د/ وفاء محمد عزت الشريف

بالحجج الشرعية والعقلية وإلا ندع أهل الباطل في باطلهم لأن لهم حق علينا أن نبين لهم الحق ونرغبهم فيه، وأن نبين لهم الباطل ونحذرهم منه.

وأسأله تعالى أن يرد ضال هذه الأمة إليه رداً جميلاً، وأن يجعلنا متكاتفين على الحق متعاونين على البر والتقوى، حتى نعيد لهذه الأمة ما اندثر من مجدها وكرامتها أنه ولي ذلك والقادر عليه، فأسأل الله أن أكون قد وفقت في بحثي هذا.

اللهم تقبل منا أنك انت السميع العليم

فهرس الموضوعات

المقدمة

الفصل الأول: (المنكرات كما بينها الإسلام)

أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثانياً: عناية القرآن بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف

ثالثاً: عناية السنة النبوية بسلامة المجتمع.

رابعاً: المنكرات وأثرها في المجتمع

الفصل الثاني: (أنواع المنكرات)

أولاً: الانقياد لهوى النفس...

ثانياً: الكذب ومظاهره (الخيانة خلف الوعد/ شهادة الزور/ البهتان /النميمة)

ثالثاً: احتقار

رابعاً: الكبرياء

خامساً: الخمر والقمار

سادساً: الظن السيئ، التجسس، الغيبة

سابعاً: اللغو

ثامناً: الشراهة

تاسعاً: الزنا

عاشرًا: الحسد

حادى عشر: الغضب

ثاني عشر: الرقى ،والتمايم ،والتوله

ثالث عشر: سب الدهر

رابع عشر: الغرور

خامس عشر: احتقار النفس

الفصل الثالث: (الشیطان وغوايته)

أولاً: من يتبع خطوات الشيطان

ثانياً: تخطيط جديد

ثالثاً: حبل النجاة

رابعاً: حب المعصية وألفة اعتيادها

خامساً: مواجهة الفتن...

سادساً: السلبية في مواجهة المنكرات...

سابعاً: الصنف الثالث

الفصل الرابع: (كيفية تغيير المنكر)

أولاً: المسؤولية

ثانياً: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

ثالثاً: بين النصيحة والتشهير...

ثالثاً: بين الحرية والفوضى...

رابعاً: مراتب تغيير المنكر...

المرتبة الأولى (باليد)

المرتبة الثانية (اللسان)

المرتبة الثالثة (بالقلب)

خامساً: تكوين رأى عام فاضل.

سادساً: أمل ورجاء.